شرح فضل الإسلام

باب وجوب الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فرسالة فضل الإسلام للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله وغفر له، من الرسائل المهمة التي تبين عن منهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، وقد بين المؤلف رحمه الله في أبواب هذه الرسالة الطريقة الصحيحة التي يجب على أهل الإسلام أن يسلكوها؛ تحقيقا للإسلام الذي أمرهم الله ﷻ بالدخول فيه، ووعد أهله الفضل والأجر منه سبحانه وتعالى، والناس يحتاجون إلى مثل هذه الرسالة العظيمة لأنها رسالة مؤصلة مستدل عليها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والمأثور عن سلف هذه الأمة.

ورسالة فضل الإسلام في أبوابها الثلاثة عشر، تعنى ببيان طريقة السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ومنهجهم في الاستسلام لله ﷻ وتحقيق العبودية له، وجاءت هذه الرسالة مشتملة على فضل الإسلام وأهل الإسلام، كما أنها جاءت مشتملة على تخليص الإسلام من شوائب البدع والمحدثات؛ لأن الإسلام الذي دعانا الله ﷻ إليه هو الإسلام الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو الذي بين النبي ﷺ أو ذكره في قوله: تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك [1]

فهذا الكتاب وهذه الرسالة تتعلق بفضل الإسلام ومعرفة فضل الإسلام، مما يثبت العبد على الإسلام ويدعو من خرج عن الإسلام كلية أو خرج عن بعضه أن يعود إليه، وهذا الفضل المذكور في الكتاب تارة يكون الفضل فيه عائدا إلى حكم الإسلام، وتارة إلى حقيقته، وتارة إلى شموليته، وتارة إلى الانتماء إليه؛ بحيث لا يبغي الإنسان عن الإسلام بديلا، لا تعبدا، لا في تعبده لله ﷻ ولا في الانتساب، فلا ينتسب إلى شيء إلا إلى الإسلام، ولا يعبد الله إلا بالإسلام، الذي بعث به النبي ﷺ وهذا ما اشتملت عليه هذه الرسالة المباركة العظيمة.

---

١ – ابن ماجه : المقدمة (٤٤) ، وأحمد (١٢٦/٤) .

فهذه الرسالة، يعني اشتملت على، كما سيأتي إن شاء الله، على هذه الفضائل العظيمة لدين الإسلام، وهذه الرسالة اسمها فضل الإسلام، فبعضهم يذكر أن هذه الرسالة سميت بأحد أبوابها، وهو الباب الأول، وبعضهم يرى أن هذه الرسالة هي فضل الإسلام، والباب الأول ما هو إلا جزء من الرسالة، والأبواب التي تليه كلها تتعلق بفضل الإسلام، وهذا كله لا إشكال فيه من جهة مقاصد المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب.

وهذه الرسالة حقيقة بها رد على الذين يطعنون في دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وليس هناك دعوة تجديدية في العصور المتأخرة قامت على الكتاب والسنة حقا، في تأصيلها والاستدلال لمسائلها، وفي وضوحها وبثها ونشرها، مثل هذه الدعوة المباركة، ونحن نعلم علما يقينيا بأن دعوة الإمام محمد رحمه الله ليس فيها خفاء، بل هي مبسوطة وظاهرة، وأئمة الدعوة لهم مؤلفات كثيرة وهي مشهورة ومنشورة ومتداولة، كلها قائمة على الكتاب والسنة، لا تجد كلاما لأئمة الدعوة إلا ومستدل عليه بالكتاب والسنة، ثم إن هذا الاستدلال لم يختلفوا فيه عن أهل العلم ولم يتناقضوا فيه، فقد جمع الإمام محمد بن عبد الوهاب ومن جاء بعده من تلاميذه وأحفاده، ومن سار على نهجهم من أهل العلم، لا يذكرون مسألة إلا ويستدلون لها من الكتاب والسنة، وهذا الاستدلال هم معتمدون فيه على من سبقهم من أهل العلم، ثم إن أصولهم جاءت منضبطة لأنها مأخوذة عن أصول أهل العلم، ليست حادثة ولم يصبها شيء من التغيير ولا من التبديل، بل هي أصول ثابتة كأصول أهل العلم رحمهم الله، ولهذا لا تجد فيما ذكروه تناقضا تتناقض فيه المسائل أو تتعارض فيه أوجه الاستدلال فيما يتطرق إليه من المسائل.

ومن قرأ في الكتب أو في كتب الدعوات التي يذكر أنها دعوات إصلاحية أو دعوات تجديدية لا يجد هذه المعاني، أو يجدها على قلة، فكثير منها ما هي إلا، ليست إلا تفسيرات عقلية أو عاطفية، ولكن ليست تجري على أصول أهل العلم وسندهم، بخلاف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وما ذاك إلا لأن الإمام محمد بن عبد الوهاب كان عالما، وعلمه رحمه الله ليس مبنيا على عقل أو رأي، وإنما هو مبني على شرع واستسلام لله ﷻ فلهذا نفع الله ﷻ بكتبه، وخاصة ما يتعلق منها بتحقيق العبودية لله عز وجل.

وإنما ركز الإمام محمد بن عبد الوهاب على هذا لأن الشرك كان قد ضرب أطنابه في بقاع الأرض، فدعا كما دعا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلى تحقيق العبودية لله عز وجل؛ لأن ما يكون من الشريعة إنما صحته وبطلانه مبني على تحقيق التوحيد لله ﷻ أو الوقوع في الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

لأجل هذا جاءت هذه الرسالة، وهي رسالة فضل الإسلام، رسالة وافية بالمقصود، محققة للمنهج، أو مبينة للمنهج الحق الذي ينبغي أن يسلكه السائر إلى ربه ﷻ المتعبد لله تعالى بدين الإسلام.

وفضل الإسلام، من المعلوم أن الفضل هو الزيادة، وهذا الفضل إنما هو فضل تفضل الله ﷻ به على هذه الأمة، في دينها ونبيها، وعلى أهل الإسلام في الدين والرسالة والأجر، في الدين والنبي والأجر، وهذا سيتبين إن شاء الله عند عرض أبواب هذا الكتاب.

وأما الإسلام فهو الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد، يعني أن يوحد الإنسان ربه ﷻ منقادا إلى ذلك مخلصا لله تعالى؛ ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذكر أن لفظ الإسلام يطلق على معنيين: الاستسلام والانقياد، والمعنى الثاني: إخلاص ذلك وإفراده لله ﷻ بمعنى أنه لا يستسلم إلا لله، ولا ينقاد إلا لله، مخلصا لله ﷻ لا يشرك مع الله ﷻ أحدا سواه؛ وعنوان هذا الاستسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله التي هي العروة الوثقى ودعوة الحق.

والإسلام يطلق على معنيين: أحدهما معنى عام يشترك فيه جميع الأنبياء، وهو توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبودية، وهذا معنى تشترك فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [1] وجاء في قوله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [2] وأيضا يعني، قلنا: يراد به الإسلام، يراد به التوحيد، الذي اجتمعت عليه الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه، كما ذكر الله ﷻ ذلك في قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [4] في

١ – سورة آل عمران آية : ١٩ .
٢ – سورة البقرة آية : ١٢٨ .
٣ – سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
٤ – سورة النحل آية : ٣٦ .

قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [1]

والمعنى الثاني يراد به الشريعة التي بعث بها النبي ﷺ يراد بها الشريعة والمنهاج والدين الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ يراد به الإسلام الخاص. نذكر في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [2] ؛ وفي قوله عليه الصلاة والسلام: بني الإسلام على خمس. [3] لأن الإسلام الخاص يشارك في الإسلام العام وهو الإسلام الذي بعثت به الأنبياء بالتوحيد. وأما شرائع الأنبياء فمختلفة ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [4] لكن يطلق على الدين: الإسلام، الذي جاء به النبي ﷺ يطلق عليه الإسلام، وهذا الإسلام يجمع الدين الذي هو تحقيق العبودية لله، والذي اجتمعت عليه الأنبياء والرسل، والثاني: الشرعة، والثالث: المنهاج، وهذا الكتاب يتعلق بالمنهاج، فضل الإسلام هنا يتعلق بالمنهاج، والسبيل الذي يجب أن يكون عليه المسلم في عبادته لربه عز وجل؛ لأنه لا يبحث عن تفاصيل الشريعة، ولا يبحث عن تفاصيل التوحيد، وإنما يبين المنهج الذي يجب أن يكون عليه المسلم في عبادته لربه جل وعلا.

---

١ – سورة النحل آية : ٢ .

٢ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .

٣ – البخاري : الإيمان (٨) ، ومسلم : الإيمان (١٦) ، والترمذي : الإيمان (٢٦٠٩) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٥٠٠١) ، وأحمد (٩٢/٢) .

٤ – سورة المائدة آية : ٤٨ .

باب فضل الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين أجمعين.

قال الإمام المجدد رحمه الله تعالى محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى: باب فضل الإسلام وقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [3] وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط ؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين ؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملا وأقل إعطاء ؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئا ؟ قالوا لا، قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء [4] وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم

---

١ – سورة المائدة آية : ٣ .

٢ – سورة يونس آية : ١٠٤ .

٣ – سورة الحديد آية : ٢٨ .

٤ – البخاري : الإجارة (٢٢٦٨) ، والترمذي : الأمثال (٢٨٧١) ، وأحمد (١٢٩/٢) .

القيامة [1] وفيه؛ تعليقا عن النبي ﷺ أنه قال: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة [2] وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله، إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة".

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمق وصومهم، ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين

هذا الباب هو الباب الأول: باب فضل الإسلام، ذكر فيه المؤلف رحمه الله آيات وأحاديث وآثارا، فأول ذلك قول الله عز وجل ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [3] وهذه الآية أنزلها الله عز وجل على رسوله ﷺ عشية عرفة في حجة الوداع، فقوله: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [4] يعني به الإسلام، وهذا الكمال لا نقص بعده، ومن هنا قال العلماء رحمهم الله: إن دين الإسلام دين كامل، لا يحتاج إلى زيادة، كما أنه دين كامل لا يجوز أن ينقص منه شيء، وبناء على هذا جعلوا من ابتدع بدعة فتعبد الله بها، مستدركا على الله تعالى ما أتم به على عباده من إكمال هذا الدين، أو ما أنعم الله عز وجل به على عباده من إكمال هذا الدين، فقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [5] وهذا عائد إلى حقيقة الإسلام، وهو أن هذا الإسلام كامل ليس فيه نقص بوجه من الوجوه، فهذا فضل الإسلام باعتبار حقيقته، ثم بين الله عز وجل فضل الإسلام باعتبار شموليته لكل زمان

١ – البخاري : الجمعة (٨٩٨) ، ومسلم : الجمعة (٨٥٦) ، والنسائي : الجمعة (١٣٦٨) ، وأحمد (٢/٢٤٣) .
٢ – أحمد (١/٢٣٦) .
٣ – سورة المائدة آية : ٣ .
٤ – سورة المائدة آية : ٣ .
٥ – سورة المائدة آية : ٣ .

ومكان، فإنه قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [1] ثم قال: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [2] يعني إلى يوم القيامة.

ففي الأول شمولية من جهة قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [3] وفي قوله أيضا: ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ [4] وفي قوله أيضا: ﴿ لَكُمْ ﴾ [5] وهذا خطاب لجميع الناس إلى يوم القيامة، فهو شامل باعتبار المخاطبين، وشامل باعتبار الزمان والمكان؛ لأنه رضيه دينا إلى قيام الساعة، ولم يقيد ذلك بمكان دون مكان، وخاطب به الناس كافة، فدل هذا على فضل الإسلام على غيره لأن الشرائع السابقة كانت محدودة بزمان ومكان وبقوم، وأما شريعة النبي ﷺ فليس يحدها زمان ولا مكان، وليست خاصة بقوم، ولهذا قال النبي ﷺ والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار [6] وهذا المعنى المذكور في هذه الآية هو من عموم بعثته عليه الصلاة والسلام، ذكره الله ﷻ في مواطن من كتابه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [7] ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [8] ؛ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [9] [9] ؛ فهذه الآية فيها بيان فضل الإسلام في حقيقته، حيث إنه دين كامل، والثاني: شموليته لجميع الخلائق والأجناس والأمكنة والأزمنة، وثالثها أيضا: بقاء هذا الدين لا ينسخ أبدا، بخلاف الشرائع السابقة فإنها

١ – سورة المائدة آية : ٣ .
٢ – سورة المائدة آية : ٣ .
٣ – سورة المائدة آية : ٣ .
٤ – سورة المائدة آية : ٣ .
٥ – سورة المائدة آية : ٣ .
٦ – مسلم : الإيمان (١٥٣) ، وأحمد (٢/٣٥٠) .
٧ – سورة الأنبياء آية : ١٠٧ .
٨ – سورة الأعراف آية : ١٥٨ .
٩ – سورة سبأ آية : ٢٨.

نسخت، كانت خاصة ونسخت، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [1] يعني أنه ناسخ لجميع الأديان السابقة، وعلى وعلى هذا يظهر فضل الإسلام على غيره من الأديان السابقة، من جهة كماله ومن جهة شموليته ومن جهة بقائه إلى يوم القيامة، يعني بقاء هذا الدين يتعبد به لله رب العالمين.

والآية الثانية، هو قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] فهذه الآية أظهر الله بها فضل الإسلام باعتبار شموليته في قوله: ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ [3] والثاني باعتبار حقيقته، وهو أن هذا الدين دين يتعبد به الإنسان ربه جل وعلا دون أن يشرك به، فقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾ [4] هذا خطاب لجميع الناس، ورسالة النبي ﷺ شاملة، كما تقدم في الآية السابقة، والثاني في قوله: ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [5] وهذا هو تحقيق التوحيد الخالص لله ﷻ في قوله: ﴿ فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ [6] ؛ وهذا الخطاب للناس: ﴿ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾ [7] بين الله ﷻ في سياق هذه الآيات ما يثبت أن هذا الدين حق، فمن شك فيه فإنما شك في الحق ولا يضر الإسلام شيئا، كما قال تعالى في آواخر الآيات: ﴿ قُلْ

١ – سورة المائدة آية : ٤٨ .
٢ – سورة يونس آية : ١٠٤.
٣ – سورة يونس آية : ١٠٤ .
٤ – سورة يونس آية : ١٠٤ .
٥ – سورة يونس آية : ١٠٤.
٦ – سورة يونس آية : ١٠٤ .
٧ – سورة يونس آية : ١٠٤.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [1] ؛ فهذه الآية بين الله ﷻ فيها فضل الإسلام من جهة شموليته ومن جهة حقيقته، وهو أنه دين يوجب على أتباعه أن يوحدوا الله ﷻ ولا يشركوا به شيئا.

ثم بعد ذلك ذكر المؤلف قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ ﴾ [2] هذه الآية اختلف العلماء رحمهم الله من المراد بها؟ هل المراد بها أمة محمد ﷺ أو أن المراد بها مؤمنو أهل الكتاب؟ فقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [3] خاطبهم الله ﷻ باسم الإيمان، ثم قال لهم: ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾ [4] هل هذا الأمر في قوله: ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾ [5] هو أمر لأهل الكتاب؟ يعني المؤمنين من أهل الكتاب، أو أنه أمر للمؤمنين من أتباعه عليه الصلاة والسلام؟ بعض أهل العلم وهو تفسير ابن عباس والضحاك، واختاره ابن جرير أن المراد بهم في هذه الآية هم مؤمنو أهل الكتاب، ويدل عليه قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ

---

١ – سورة يونس آية : ١٠٨ .
٢ – سورة الحديد آية : ٢٨.
٣ – سورة الحديد آية : ٢٨ .
٤ – سورة الحديد آية : ٢٨.
٥ – سورة الحديد آية : ٢٨ .

أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [1] فقوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ [2] هو معنى قوله: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [3] ويستدلون على هذا بما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه . [4] فبين هذا الحديث أن من آمن من أهل الكتاب فإنه يؤتى أجره مرتين، وهذا يوافق قوله في الآية: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [5]

ومن العلماء من يرى أن هذه الآية إنما هي في المؤمنين من هذه الأمة، في المؤمنين من أمة محمد ﷺ والدليل عليه، يقولون: سياق الآية؛ لأنه قال بعدها: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [6]

والثاني حديث ابن عمر الذي ساقه المؤلف رحمه الله. فإن الله عز وجل جعل لهذه الأمة الأجر مضاعفا، وقالوا: إن آية القصص ليست كآية الحديد؛ لأن آية الحديد يختلف فيها الأجر عن آية القصص، فآية القصص في أهل الكتاب لأنه قال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ [7] ولم يزد على ذلك، وأما هنا فقال: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

---

١ – سورة القصص آية : ٥١-٥٤.

٢ – سورة القصص آية : ٥٤ .

٣ – سورة الحديد آية : ٢٨.

٤ – البخاري : الجهاد والسير (٣٠١١) ، ومسلم : الإيمان (١٥٤) ، والترمذي : النكاح (١١١٦) ، والنسائي : النكاح (٣٣٤٤) ، وابن ماجه : النكاح (١٩٥٦) ، وأحمد (٤٠٢/٤) ، والدارمي : النكاح (٢٢٤٤) .

٥ – سورة الحديد آية : ٢٨.

٦ – سورة الحديد آية : ٢٩ .

٧ – سورة القصص آية : ٥٤.

ﮊ (١) فذكر لهم ثلاثة أشياء، وأما أهل الكتاب فلهم شيء واحد: ﮋ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﮊ (٢)

؛ وإتيانهم أجرهم مرتين هو الموافق لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. ويرون أن آية الحديد وهي التي ذكرها المؤلف، في هذه الأمة، وآية القصص في أهل الكتاب، أو في مؤمني أهل الكتاب، وعلى كلا القولين في تفسير الآية فإن فضل الإسلام ظاهر، فإن كانت هذه الآية في أهل الكتاب فوجه ذلك أن الله ﷻ أمرهم بالإيمان برسول الله ﷺ مع أنهم كانوا على دين منزل من عند الله ﷻ ولهذا خاطبهم باسم الإيمان، ولم يكونوا كافرين بالشريعة السابقة، فإن من كفر بالشريعة السابقة التي أمر أن يتبعها لا يطلق عليه أو لا ينادى باسم الإيمان، ولكن هنا ناداهم الله باسم الإيمان، فدل ذلك على أنهم كانوا مؤمنين برسالة من كان قبل النبي ﷺ فلما دعاهم الله ﷻ إلى الإيمان بالنبي ﷺ دل ذلك على أن الإسلام يفضل على الديانات السابقة، وهذا فضل الإسلام؛ لأن الله ﷻ لم ينقلهم من الفاضل إلى المفضول وإنما نقلهم من المفضول إلى الفاضل، بل نقلهم، بل جعل ﷻ هذا المفضول منسوخا بالإسلام.

الشيء الثاني، أو الوجه الثاني، هو قوله: ﮋ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﮊ (٣) فهذا الأجر المرتب على الإسلام، ليس هو كالأجر المرتب على التعبد لله ﷻ بالرسالات السابقة؛ لأنه لما قال: ﮋ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﮊ (٤) هذا أجر رتبه الله ﷻ على الإيمان برسوله محمد ﷺ ولو كان كان الأجر واحدا لم يكن لدعوتهم وذكر أجرهم مزيد فضل، ولكن لما ذكر هذا الفضل بعد دعوتهم إلى الإيمان دل هذا على أن الأجر المرتب على اتباع النبي ﷺ ليس هو كالأجر المرتب على اتباع من سلف من

١ - سورة الحديد آية : ٢٨ .

٢ - سورة القصص آية : ٥٤.

٣ - سورة الحديد آية : ٢٨ .

٤ - سورة الحديد آية : ٢٨.

إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبه يظهر فضل الإسلام على غيره، سواء فيما رتب عليه من أجر أو فيما أمر به الناس من اتباع الإسلام.

وعلى التفسير الثاني لهذه الآية وأنها في المؤمنين من هذه الأمة، يكون أيضا الأمر واضحا، وهو قريب من الأمر الأول، وهو أن الله ﷻ بين لنا فضل الإسلام بأمرين: الأمر الأول: الدعوة إليه، والأمر به، ولا شك أن الأمر بالشيء دليل على فضله، والثاني أيضا: ما رتبه الله ﷻ من الأجر على الإسلام والإيمان برسوله محمد ﷺ مما يدعو إلى اتباعه والإيمان به وبما جاء به عليه الصلاة والسلام – فالأمر في هذه الفضيلة ظاهر.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله قال: وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنه يعني به "صحيح البخاري" قال: مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط. [1] إلى آخر الحديث ؛ هذا الحديث ذكره النبي ﷺ مثلا، وهذا المثل أبان به رسول الله ﷺ عن فضل الأمة على الأمم السابقة، حيث إنها عملت عملا قليلا وأجرت أجرا مضاعفا، فالطائفة الأولى وهي الثلاث ملل: الإسلام واليهود والنصارى، فالإسلام واليهودية والنصرانية، فاليهود عملوا من الغدوة وهي أول النهار إلى نصف النهار، على قيراط والقيراط يساوي واحد إلى اثني عشر من الدرهم. والثاني النصارى عملوا من نصف النهار إلى صلاة العصر، على قيراط، وهذه الأمة عملت من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين، فهذه الأمة عملها أقصر مدة لأنه من صلاة العصر إلى غروب الشمس.

والثاني: أن الله ﷻ جعل لهم الأجر مضاعفا، فأولئك على قيراط، وهذه الأمة على قيراطين، قال: فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عمل وأقل عطاء. [2] غضب اليهود والنصارى، إما أن يكون قد غضب اليهود والنصارى لما أخبرهم الله ﷻ في كتبهم بهذا؛ لأن النبي – عليه الصلاة والسلام – قد بشر به بالكتب السماوية السابقة، وذكرت شيء من أوصافه، فلعلهم لما ذكر الله ﷻ ذلك في كتبهم غضبوا، ولكن لا يغضب منهم إلا من كان كافرا معترضا على حكم الله ﷻ وإما أن يكون هذا الغضب

١ – البخاري : الإجارة (٢٢٦٨) ، والترمذي : الأمثال (٢٨٧١) ، وأحمد (١٢٩/٢) .

٢ – البخاري : الإجارة (٢٢٦٨) ، والترمذي : الأمثال (٢٨٧١) ، وأحمد (١١١/٢).

في الآخرة، إذا رأوا الأجور وأن هذه الأمة ضاعف الله ﷻ لها الأجر مع قلة العمل، وهذان تفسيران ذكرهما العلماء، وذكروا على الوجه الثاني أنه عبر بالماضي لتحقق وقوع ذلك.

وقوله: قال: هل نقصتكم من حقكم شيئا ؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء [1] قوله: هل نقصت من حقكم شيئا [2] هذا الحق الذي ذكره الله ﷻ إنما هو باعتبار ما تفضل به ﷻ على عباده فرتب لهم أجورا على الطاعات، وجعلهم مستحقين لها إذا وافوه بها على الوجه الذي يرضاه عنهم، ثم قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء [3] فالأول وهو الاستحقاق أو الحق يتعلق بعدل الله ﷻ والثاني يتعلق بالفضل، فالله ﷻ من عدله أنه يوفي عباده أجورهم ولا يبخسهم شيئا، هذا من عدله ﷻ وأما فضله فيتفضل به على من شاء من عباده، قال الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [4] ؛ هذا الحديث المذكور هاهنا حديث ابن عمر ﷺ في الأجراء، هو حديث دال على فضل الإسلام، باعتبار أن الله ﷻ فضل أهل الإسلام على غيرهم بما ضاعف لهم من الأجور، وهذا الفضل لم يكونوا مستحقين له أو حائزين عليه إلا بوصف الإسلام، وأن الأجر لو كان على العمل فاليهود عملت أكثر والنصارى عملت أكثر، ولكن جاء الفضل باعتبار الوصف الذي قام بهم، وهو وصف الإسلام، فلما تحقق فيهم الإسلام فعملوا عملا أقل مما عمله من قبلهم، كان أجرهم مضاعفا، فهذا الفضل إنما نالوه لأنه تحقق فيهم، إنما نالوه بوصف الإسلام، أو بانتمائهم إلى الإسلام حقيقة، نالوا هذا الأجر وضوعف لهم، وهذا مثله مثل الآية السابقة؛ لأن الآية السابقة إنما نالوا الأجر المرتب فيها لما قام بهم الإيمان برسول الله ﷺ وهذا يدلك على فضل الإسلام على غيره، وأن هذا الفضل عائد إلى الإسلام، وموروث لتفضيل أهل الإسلام على غيرهم، وإنما كانوا أفضل من غيرهم لما تلبسوا به من حقيقة الإسلام.

---

١ – البخاري : الإجارة (٢٢٦٨) ، والترمذي : الأمثال (٢٨٧١) ، وأحمد (١٢٩/٢) .

٢ – البخاري : الإجارة (٢٢٦٩) ، والترمذي : الأمثال (٢٨٧١) ، وأحمد (٦/٢).

٣ – البخاري : الإجارة (٢٢٦٨) ، والترمذي : الأمثال (٢٨٧١) ، وأحمد (١٢٩/٢) .

٤ – سورة النساء آية : ٤٠.

ثم قال: وفيه عن أبي هريرة، وهذا يعني فيه يعني في "الصحيح" عائد إلى قوله: في الصحيح، وهو هنا في صحيح الإمام مسلم رحمه الله قال: أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة [1] هذا الحديث ذكر فيه النبي ﷺ أن الله أضل عن الجمعة اليهود والنصارى، يعني أنه لم يهدهم إلى أن يجعلوا هذا اليوم يوم عطلتهم واستراحتهم ويوم عيدهم، وإنما وفق الله ﷻ هذه الأمة لهذا اليوم واختاره سبحانه وتعالى لهم، فعندنا يوم الجمعة يتلوه السبت ثم الأحد، هذه ثلاثة أيام، الجمعة لأهل الإسلام والسبت لليهود، وللنصارى يوم الأحد.

وأنت إذا نظرت إلى هذه الأيام الثلاثة، وجدت هذه الأيام الثلاثة لا تكون إلا على هذا الترتيب: الجمعة يليه السبت يليه الأحد، فهم تبع لنا؛ لأننا لو بدأنا بالسبت لانقطع ما بين الأحد والجمعة، وإنما توالت، وإنما هذه الأيام المتوالية يكون فيها أهل السبت وأهل الأحد بعد أهل الجمعة، فصاروا تبعا لنا ولسنا تبعا لهم، ولهذا قال: وكذلك هم تبع لنا يوم الجمعة [2] يعني أن الله هدانا ليوم الجمعة، فكانوا بعدنا السبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، يعني أن الله ﷻ يبعث هذه الأمة قبل الأمم ويحشرهم قبل الأمم، ويقضي بينهم قبل الأمم ويدخلهم في منازلهم قبل الأمم، ثم تأتي الأمم بعد أمة النبي ﷺ قال: نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة [3] أي نحن الآخرون من أهل الدنيا في الوجود لأن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ووجد بعد إخوانه ممن تقدمه، والأولون يوم القيامة، يعني أن هذه الأمة جاءت في الوجود في الدنيا بعد الأمم، لكنها تتقدم على الأمم يوم القيامة؛ فهذا الحديث فيه فضل الإسلام على الأمم السابقة، وهو أمر ظاهر لأنهم تبع لهذه الأمة في الدنيا والآخرة.

والثاني أن الله ﷻ فضل هذه الأمة بما اختاره لها من يوم الجمعة، وهذا التفضيل الوارد في هذا الحديث إنما جاء بالانتماء إلى ملة الإسلام، فهذا تفضيل لهذه الأمة على من سلف في الدنيا والآخرة.

---

١ – البخاري : الجمعة (٨٩٨) ، ومسلم : الجمعة (٨٥٦) ، والنسائي : الجمعة (١٣٦٨) ، وأحمد (٢/٢٤٣) .

٢ – البخاري : الجمعة (٨٧٦) ، ومسلم : الجمعة (٨٥٥) ، والنسائي : الجمعة (١٣٦٧) ، وأحمد (٢/٢٣٦).

٣ – البخاري : الجمعة (٨٩٨) ، ومسلم : الجمعة (٨٥٦) ، والنسائي : الجمعة (١٣٦٨) ، وأحمد (٢/٢٤٣) .

ثم قال: وفيه تعليقا، يعني في الصحيح، والمراد به هنا "صحيح الإمام البخاري رحمه الله" ؛ وهذا التعليق قد وصله عبد بن حميد والإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وحسنه ابن حجر والعيني، وتحسينه إنما هو بشواهده، وأما هذه الطريق ففيها ضعف من جهة عنعنة محمد بن إسحاق، ومن جهة أنه من رواية داود بن الحسين عن عكرمة، وداود في روايته عن عكرمة ضعف، لكن للحديث شواهد كثيرة، حسنه العلماء رحمهم الله بهذه الشواهد.

قال فيه: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة [1] والحنيفية السمحة هي دين الإسلام، كما في الحديث: بعثت بالحنيفية السمحة [2] فهي حنيفية في التوحيد، يعني أن هذه الشريعة أو هذا الدين فيه تحقيق لتوحيد الله عز وجل؛ لأن الحنيف هو المائل عن الشرك قصدا إلى التوحيد: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [3] وكما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [4] ؛ وقوله " السمحة " يعني في التشريع، قال الله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [5] ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [6] ؛ ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [7] ؛ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

١ – أحمد (١/٢٣٦).
٢ – أحمد (٥/٢٦٦) .
٣ – سورة النحل آية : ١٢٠.
٤ – سورة البينة آية : ٥ .
٥ – سورة الأعراف آية : ١٥٧.
٦ – سورة المائدة آية : ٦ .
٧ – سورة الحج آية : ٧٨.

﴿ [1] ؛ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾ [2] ؛ فهي سمحة في التشريع حنيفية في التوحيد.

ذكر النبي ﷺ هذا الحديث وفيه شاهد على فضل الإسلام، وذلك أنه أحب الدين إلى الله ﷻ ولهذا جعله الله ﷻ خاتما للأديان كلها، ورضيه دينا إلى يوم القيامة؛ لأنه أحب الدين إلى الله عز وجل. وهذا يبين لك فضل الإسلام؛ لأن قوله: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة [3] إما أن يكون الدين المراد به به هنا، يعني الأديان السابقة، ويكون فضله واضحا، يعني هو أحبها إلى الله، وإما أن يراد بالدين هو خصوص الإسلام وأعلاه وأجله الحنيفية السمحة، وعليه يكون هذا الدين فضله فيما؟ يعني فضل هذا الدين في سماحته ويسره ورفع الحرج عن هذه الأمة في هذه الشريعة؛ لأن الديانات السابقة والشرائع السابقة كان فيها من الإصر والأغلال ما ليس على هذه الأمة.

الشاهد أن هذا الحديث ظاهر في فضل الإسلام على الأديان، وظاهر في فضل الإسلام في العقيدة والتشريع. أما العقيدة ففي قوله " الحنيفية " التي أجمع عليها الأنبياء، وأما " السمحة " ففي التشريع الذي اختصت به هذه الشريعة وفضلت به على الشرائع السابقة.

ثم أورد المؤلف رحمه الله أثر أبي بن كعب الذي خرجه ابن أبي شيبة وابن المبارك في الزهد، واللالكائي وابن بطة وابن نعيم في الحلية، خرجوا هذا الأثر، أثر أبي بن كعب رضي الله عنه قال: " عليكم بالسبيل والسنة "؛ السبيل هنا يراد به الجماعة، قال الله ﷻ ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [4] ؛ ولهذا الإمام ابن بطة رحمه الله أورده في باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة والأخذ بها، والسيوطي رحمه الله في كتابه " الأمر بالاتباع " ذكره تحت فصل " فصل في الأمر بلزوم السنة والجماعة

١ – سورة البقرة آية : ٢٨٦ .
٢ – سورة الطلاق آية : ٧.
٣ – أحمد (٢٣٦/١) .
٤ – سورة النساء آية : ١١٥.

والنهي عن الفرقة "، فدل على قوله: السبيل، أن المراد به الجماعة، لكن هذه الجماعة هي جماعة الحق التي اجتمعت على الحق، قال: فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار.

هذا الحديث ذكر فيه المفارقة بين من فاضت عيناه من خشية الله، لكن ليس على السبيل والسنة، وبين من فاضت عيناه من خشية الله وهو على السبيل والسنة؛ لأن الإنسان قد يكون فيه خشية من الله ﷻ ولكنه لا يكون على السبيل والسنة، مثل ما فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ [1] فسرت هذه الآية في أحد تفسيراتها بأن هؤلاء في المترهبين الذين خشعوا لكنهم يعاقبون يوم القيامة؛ لأنهم ليسوا على حق وإنما على باطل، من جنس ما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [2]

وأما القسم الثاني وهم الذين يذكرون الله، لكن على سبيل وسنة، هؤلاء هم الذين إذا فاضت أعينهم من خشية الله لا تمسهم النار، مثل مل ذكر الله ﷻ في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩ ﴾ [3] ؛ فهذه جاءت في أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله ﷺ فكانوا على السبيل والسنة. وقال الله ﷻ ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ

١ – سورة الغاشية آية : ٢-٤ .

٢ – سورة الحديد آية : ٢٧.

٣ – سورة الإسراء آية : ١٠٧-١٠٩ .

يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1]

وهذه جاءت في من آمن من النصارى، فكان على الإسلام والسنة، ففاضت عيناه، فإنه لا تمسه النار، كما ذكر أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه في هذا الحديث.

ثم قال: " وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله، إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها " ، هذه الجملة التي ذكرها أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، فيها تمثيل لحال المؤمن الذي كان على الإسلام والسنة فاقشعر جلده، والقشعريرة هي الرعدة التي تأخذ الإنسان، فأخذته رعدة بسبب خشيته ووجله، فإن هذا مثله كمثل الشجرة، هذه الشجرة لها أوراق، وهذه الأوراق قد يبست؛ لأن الرطب يكون ممسكا بأصله وهو الشجرة، أما اليابس من هذه الأوراق إذا جاءته الريح فإنها تتساقط هذه الأوراق وتتحات، وأنت ترى الأشجار إذا يبس ورقها ثم جاءتها الريح أحيانا لا يبقى على الشجرة شيء من هذه الأوراق، فكذلك من خشي الله ﷻ وهو على الإسلام والسنة، فإن الله ﷻ يذهب عنه ذنوبه ويمحوها جل وعلا، وهذا كثير ذكره الله ﷻ في كتابه.

ثم قال: " وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة " ، يعني أن الاقتصاد في العبادة مع كون الإنسان على الإسلام والسنة، خير من الاجتهاد في العبادة وليس الإنسان على سبيل وسنة، وهذا مثل ما ذكر النبي ﷺ في الخوارج؛ فإنهم أهل بدعة وضلالة قد قال فيهم ﷺ يحقر أحدكم صلاته عند صلاته وصيامه عند صيامه وقراءته عند قراءته. [2] ثم ذكر قال: يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم [3] فهؤلاء لما لم يكونوا على سبيل وسنة لأنهم خالفوا جماعة المسلمين ولم يعملوا بموجب السنة

---

١ – سورة المائدة آية : ٨٣-٨٥.

٢ – البخاري : المناقب (٣٦١٠) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، وأحمد (٦٥/٣) .

٣ – البخاري : فضائل القرآن (٥٠٥٨) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٤/٣).

التي جاء بها النبي ﷺ كانت قراءتهم لهذا القرآن لا يستفيدون منها شيئا، لا أجرا ولا عملا، ولهذا الاقتصاد في العبادة مع كون الإنسان على السبيل، يعني على السنة، خير من الاجتهاد في العبادة وهي بخلاف، وليس على سبيل وسنة، وفيه تحرير من البدع؛ لأن أهل البدع قد يتعبدون لله ﷻ بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ وقد يرهقون أنفسهم بذلك، لكن لا يؤجرون على هذا الاجتهاد الذي خالفوا فيه السنة؛ لأن عملهم وقع غير مقبول.

هذا الحديث أو هذا الأثر عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، يدل عل فضل الإسلام، من جهة أن الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ يشتمل على أمرين: السبيل والسنة، وهي الجماعة الذين اجتمعوا على الإسلام، وعلى السنة، وهي الطريقة التي جاء بها النبي ﷺ وقد فسر بهذا قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [1] فسرها ابن عباس رضي الله عنه بأنها السبيل والسنة، وفسر الحسن البصري رحمه الله قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ [2] فسرها بأنها السنة، فدل هذا التفسير تفسير الحسن البصري رحمه الله لهذه الآية: ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ [3] أن الشرعة المذكورة في: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ﴾ [4] هي السنة، والمنهاج هي الطريقة التي يتعبد بمقتضاها لله ﷻ وهذا يشهد لقوله: " عليكم بالسبيل والسنة " ؛ فهذا الأثر فيه فضل الاستمساك بالإسلام الخالص من الشوائب والبدع والمحدثات، وأن فضل الإسلام لا يتحقق بكماله إلا لمن كان على السبيل والسنة. وجملة هذه الفضائل ما ذكر في هذا الحديث، النجاة من النار ومغفرة الذنوب، وقبول العمل، يعني فيه ثلاثة أشياء، النجاة من النار لمن حقق الإسلام على الوجه الصحيح الخالي من البدع والشوائب، كان له القبول ومحا الله ﷻ عنه الذنوب ولم تمسه النار، وإذا لم تمسه النار يعني أنه من أهل

١ – سورة المائدة آية : ٤٨ .
٢ – سورة الجاثية آية : ١٨.
٣ – سورة الجاثية آية : ١٨ .
٤ – سورة المائدة آية : ٤٨.

الجنة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧ ﴾ [1] وليس ثمة في الآخرة إلا فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير، فإذا لم تمسه النار معناه أنه من أهل الجنة، فالعمل أو الاستمساك بالإسلام الخالي عن الشوائب والبدع والمحدثات مورث لهذه الأشياء الثلاثة: قبول العمل ومحو الذنوب ودخول الجنة، وهذه لا تجتمع ولا تتأتى إلا في الإسلام الصحيح الخالي من البدع والشوائب، فدلك هذا على فضل الإسلام من حيث ما يترتب على اتباع أو على العمل به على وجهه المنزل من عند الله ﷻ ما يترتب عليه من هذه الأجور العظيمة وصلاح العمل.

ثم أورد حديث أبي الدرداء: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم إلى آخره " وهذا الأثر أثر أبي الدرداء ﷺ خرجه الإمام أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية، وهذا الأثر وهو أثر أبي الدرداء متعلق بمرتبة الإحسان، وهي أخص مراتب الدين وأعلاها؛ لأن الدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وأعلى هذه المراتب الإحسان الذي فسره النبي ﷺ بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك [2] وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [3] ومذكور في قوله تعالى ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥ ﴾ [4] ؛ فهذا الأثر متعلق بفضل، أو متعلق بأعلى مراتب الدين وهو الإحسان.

قوله في الحديث: يا حبذا نوم الأكياس الأكياس: جمع كيس، وهو ضد الأحمق، ولهذا جعلهما متقابلين، لأن قوله: الحمقى، جمع أحمق، وهو قليل العقل، والكيس هو وافر العقل، فإن وفرة العقل تمنع الإنسان عن الوقوع فيما لا يحسن أن يقع فيه.

---

١ – سورة الشورى آية : ٧ .

٢ – البخاري : الإيمان (٥٠) ، ومسلم : الإيمان (١٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، وابن ماجه : المقدمة (٦٤) ، وأحمد (٤٢٦/٢) .

٣ – سورة يونس آية : ٦١.

٤ – سورة البقرة آية : ١٩٥ .

ثم قال: ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين فقوله: ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، هذه هي مرتبة الإحسان، هذا الأثر يبين أن العمل وإن كان قليلا ولكنه إذا عمله الإنسان مع مراقبة الله ﷻ كان أنفع وأفضل وأكمل للعبد من العبادة التي يعملها وإن كانت كثيرة لكنه تنقصها هذه المرتبة وهذا يوافق حديث أبي بن كعب في قوله: وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة لأن من كان على السبيل والسنة فإنه يراقب ربه جل وعلا فيما يعمل، فدل هذا على فضل الإسلام من جهة ما يحققه هذا الدين لصاحبه الذي عمل بأعلى درجاته ما يحقق له من الفضل والخير الذي لم يكن لينالاه إلا بمراقبته لله ﷻ المتعلقة بمرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين.

وهذا الأثر قد شرحه ابن القيم في كتابه "الفوائد"، وبين أنه من جواهر الكلام، وأدله على فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم، والله تعالى أعلم، وصلى الله عليه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب وجوب الدخول في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب وجوب الدخول في الإسلام" وقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1] ؛ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [2] ؛ وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [3] ؛ قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [4] أخرجاه، وفي لفظ: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد [5] وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى [6] وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه [7] رواه البخاري.

قال ابن تيمية رحمه الله: قوله: سنة جاهلية، يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي في شخص دون شخص، كتابية أو وثنية أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون.

---

١ – سورة آل عمران آية : ٨٥.

٢ – سورة آل عمران آية : ١٩ .

٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.

٤ – البخاري : الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأبو داود : السنة (٤٦٠٦) ، وابن ماجه : المقدمة (١٤) ، وأحمد (٦/٢٧٠) .

٥ – مسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأحمد (٦/٢٥٦).

٦ – البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٥) ، والنسائي : الاستعاذة (٥٥١٠) ، وابن ماجه : المقدمة (٣) ، وأحمد (٢/٣٦١) .

٧ – البخاري : الديات (٦٨٨٢).

وفي الصحيح عن حذيفة ﷺ قال: يا معشر القراء استقيموا، فإن استقمتم فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا [1] وعن محمد بن وضاح رحمه الله أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول، فذكره وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله، يعني ابن مسعود ﷺ "ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول: عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم، فيهدم الإسلام ويثلم".

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله وعلى آله ومن اهتدى بهداه.

هذا: "باب وجوب الدخول في الإسلام" وهذا من فضائل الإسلام، أنه يجب على كل أحد أن يدخل فيه لأن فضيلة الشيء أحيانا تكون بذكر فضائله ووجوبه، وأحيانا تكون بالأمر بلزومه والعمل به والدخول فيه، والله جل وعلا قد أوجب على عباده الدخول في الإسلام، لا يشذ عن ذلك أحد، بل بعد بعثة النبي ﷺ وجب على الجميع أن ينقادوا إلى هذا الدين دين الإسلام.

قال: وقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [2] فهذه الآية المذكورة هاهنا تدل على أن الإسلام واجب على كل الناس بعد بعثة النبي ﷺ به؛ لأن قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ ﴾ [3] هذا لفظ عام يشمل جميع الناس منذ منذ بعثته عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة لأنها جاءت مطلقة لم تقيد بزمان ولا بمكان؛ وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [4]

---

١ – البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٢) .

٢ – سورة آل عمران آية : ٨٥.

٣ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .

٤ – سورة آل عمران آية : ٨٥.

هاهنا ذكر الله ﷻ حال من اتخذ غير الإسلام دينا، وذكر أنه لا يقبل منه، يعني أن كل قربة يتقرب بها إلى الله تعالى بدين غير دين الإسلام، فإن الله ﷻ لا يقبلها بل هي مردودة عليه؛ لأن شرط قبول العمل أن يكون الإنسان مسلما، والثانية قوله: ﴿ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1] وهذا حكم عليه في الآخرة بأنه من الخاسرين، يعني الهالكين، وبناء على هذا فيقال: إنه لما جاء في هذه الآية تهديد ووعيد لمن اتخذ غير دين الإسلام دينا، دل ذلك على أن الواجب هو اتخاذ دين الإسلام دينا يتقرب به العبد إلى الله عز وجل؛ لأن الشيء أحيانا يؤمر به وأحيانا ينهى عن ضده، سواء كان هذا النهي بلفظ النهي أو أن يخبر الله ﷻ عن مآل أهله وما لهم من الخسارة والهلاك، فإذا كان هذا واقع من ابتغى غير الإسلام دينا، فإنه لا حال أخرى إلا أن يدين الإنسان بدين الإسلام، فدلنا هذا على وجوب الدخول في دين الإسلام، وهذا الوجوب واجب على كل الناس ليس خاصا بأحد.

فهذا الآية يستدل بها في هذا الباب على أمرين؛ أحدهما: وجوب الدخول في الإسلام، لقوله: ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [2] وهذا وعيد لمن اتخذ غير دين الإسلام دينا، فإذا ورد هذا في حقه دل ذلك على أنه يجب عليه أن يتخذ دين الإسلام دينا له، والثاني: أن هذا الدخول في دين الإسلام واجب على كل أحد للعموم الذي في قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ ﴾ [3] وهذا العموم لجميع الناس كلهم، أو للناس كلهم، وهو مطلق عن الزمان والمكان، فدل ذلك على أنه منذ البعثة إلى قيام الساعة.

والآية الثانية هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [4] هذه الآية ذكر بعض أهل العلم أنها نزلت لما افتخر المشركين بآبائهم، كل فريق قال: لا دين إلا دين آبائي، فكذبهم الله ﷻ

١ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .
٢ – سورة آل عمران آية : ٨٥.
٣ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .
٤ – سورة آل عمران آية : ١٩.

وأنزل هذه الآية وبين أن الدين عند الله هو الإسلام؛ فقوله: إن الدين عند الله الإسلام، هذا خبر، ولكن هذا الخبر يقتضي فعل ما أخبر الله به والاستقامة عليه؛ لأن الله ﷻ لما أخبرنا بهذا وحصر الدين في الإسلام، دل على أنه لا يدان لله ﷻ بغير الإسلام، ومعنى ذلك أن من دان لله ﷻ بغير الإسلام فإنه خالف هذا الخبر الذي ذكره الله ﷻ والمراد به أن يستقيم الناس على الإسلام، وليس هذا خبرا قدريا وإنما هو خبر شرعي لأن الخبر الشرعي يرد أحيانا ويراد به وجوب امتثال ما دل عليه، وإن كانت صورته صورة الخبر، وإلا لو كان خبرا قدريا لكان الناس على الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا ﴾ [1] وهذا في الإسلام الذي هو بمعناه القدري، أي أن الله ﷻ يصرف عباده كيف يشاء، وهم في هذا التصريف منقادون له، لكن هذا التصريف المراد به ما كان قدريا لا ما كان شرعيا؛ لأن القدري لا يمكن أن يتخلف، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [2] حصر الدين في الإسلام فدل ذلك على أنه لا يدان لله ﷻ بغير الإسلام.

وهذه الآية فسر فيها الإسلام بأنه الإسلام الخاص كما فسرها الشافعي وغيره، يعني الذي هو شريعة النبي ﷺ وبعض أهل العلم فسر الإسلام هنا بأنه الإسلام العام، لا نقول العام ولكن نقول الإسلام الذي هو بمعنى التذلل والخشوع والخضوع لله ﷻ الذي هو توحيد الله ﷻ الذي اجتمعت عليه الأنبياء، والأنبياء كلهم على هذا التوحيد، كما ذكر الله ﷻ ذلك عن بعض أنبيائه، كما في قوله تعالى عن نوح: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3] ؛ وفي قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا

١ – سورة آل عمران آية : ٨٣ .

٢ – سورة آل عمران آية : ١٩.

٣ – سورة يونس آية : ٧٢ .

مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [1] ؛ وفي قوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [2]

وفي قوله تعالى إخبارا عن يوسف: ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [3] ؛ وفيما ذكره الله ﷻ عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [4] ؛ فهذا إسلام اجتمعت عليه الأنبياء وهو إخلاص العبودية لله تعالى، وفسرت الإسلام ها هنا وهاهنا يعني بهذا التفسير وبهذا التفسير.

وعلى كل قوله: باب وجوب الدخول في الإسلام، يعني الإسلام الذي بعث به النبي ﷺ لأنه لا يقبل بعد ذلك دين من يهودي ولا نصراني ولا غيرهم من أهل الكفر، وإن كان المراد بالآية الإسلام الخاص فهي دلالة مطابقة على الباب، وإن كان المراد بها الإسلام الذي هو بمعنى التوحيد والانقياد والتذلل لله ﷻ فهذا من دين النبي عليه الصلاة والسلام، قد شاركه فيه الأنبياء، فالإنسان المأمور باتباع النبي – عليه الصلاة والسلام – يلزمه ابتداء أن يخلص الدين والتوحيد لله ﷻ كما كانت عليه أنبياء الله ورسله عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [5] هذه الآية جاءت في الوصايا التي ذكرها الله ﷻ في آخر سورة الأنعام ابتداء من

---

١ – سورة البقرة آية : ١٢٨.

٢ – سورة البقرة آية : ١٣٢ .

٣ – سورة يوسف آية : ١٠١.

٤ – سورة يونس آية : ٨٤.

٥ – سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [١] إلى أن قال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ [٢] فقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [٣] أضاف الله ﷻ الصراط هاهنا إلى نفسه، ووصفه بأنه مستقيم، يعني لا اعوجاج فيه البتة، فعرفه هنا بالإضافة وعرفه في موضع آخر بالألف واللام ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [٤] وهذا التعريف بالإضافة وبالألف واللام مع إفراد الصراط، دليل على أنه واحد لا تعدد فيه، وأنه شيء معين لا اختلاف فيه.

وقوله جل وعلا: فاتبعوه، يعني اتبعوا هذا الصراط المستقيم. والصراط المستقيم فسر بأنه دين الإسلام، وفسر بأنه القرآن وفسر بأنه النبي ﷺ وكلها حق؛ لأنه إذا فسر بالإسلام فهو الدين الذي جاء مبنيا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإن فسر بالقرآن فالقرآن دعانا إلى الإسلام ودلنا على السنة، وإن فسر بالسنة فالسنة جاءت مبينة للقرآن داعية إلى الإسلام، كل هذه التفسيرات تعود إلى شيء واحد وهو ما بعث به النبي ﷺ .

فقوله: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾ [٥] يعني اتبعوا الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، فهذا أمر باتباعه، وقوله: وقوله: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾ [٦] هذه عامة لأن واو الجماعة تفيد العموم ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾ [٧] فهذا أمر لجميع الناس بأن يتبعوا هذا الصراط المستقيم، ثم قال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

١ – سورة الأنعام آية : ١٥١.
٢ – سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
٤ – سورة الفاتحة آية : ٦.
٥ – سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
٦ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.
٧ – سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [1] يعني لا تتبعوا السبل التي هي ليست سبيل الإسلام، فنهى الله ﷻ عن اتباع السبل وأمرنا باتباع الصراط المستقيم، فجاء أمر ونهي، أمر صريح بالاتباع ونهي عن اتباع السبل الأخرى، فإذا نهانا عن اتباع السبل الأخرى لم يبق إلا سبيل واحد، وهو سبيل الإسلام، فوجب اتباعه، كيف وقد أمر به قبل ذلك في قوله: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [2] وقلنا: هذا الأمر هو لعموم الناس، كما تفيده صيغة العموم في قوله: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [3]

قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [4] سيأتينا إن شاء الله بعد حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في بيان النبي ﷺ لهذه السبل وأنه خط خطا وخط عن جنباته خطوطا ووضع يده على الخط، ثم قال: هذا سبيل الله وهذه هي السبل، يعني الذي عن يمينه وعن شماله، فدل هذا على أن سبيل الله ﷻ واحد. فإن قال قائل: قد قال الله ﷻ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [5] فجمع السبل هنا، والعلماء رحمهم الله يقولون: إن سبيل الله ﷻ واحد، وأما سبل الغواية فهي كثيرة لأن قوله: ولا تتبعوا السبل، يشمل السبل المخرجة عن ملة الإسلام أصلا، كاليهودية والنصرانية والبوذية والإلحادية، وغيرها مما يناقض الإسلام، وقد تكون السبل هذه هي الأهواء التي أهلها من أهل القبلة، لكن يقع عندهم شيء من الأهواء والبدع، كالخوارج والقدرية والمرجئة

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.
٢ – سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
٤ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.
٥ – سورة المائدة آية : ١٥-١٦ .

والجهمية والمعتزلة والرافضة، هذه أهواء، فقال: ولا تتبعوا السبل، هذه الأهواء، والعلماء يقولون: سبيل الله واحد وهو صراطه، وقد جاء في قوله تعالى كما قدمنا في سورة المائدة: ﴿ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [1] المراد بسبل السلام هنا هي شرائع الإسلام، جمع السبيل لأن المراد به الشرائع، كما جاء في الحديث الصحيح أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله [2] فقوله: ﴿ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [3] هو المراد بقوله: شرائع الإسلام، فالصلاة شريعة والحج شريعة والصيام شريعة والجهاد شريعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شريعة، وصلة الأرحام شريعة، وبر الوالدين شريعة، وهكذا، كلها شرائع الإسلام، فجمع السبيل هنا لأنه أراد به شرائع الإسلام.

وهذه الشرائع كما ذكر العلماء هي تعود إلى شيء واحد وهو الصراط المستقيم الذي هو السبيل إلى الله ﷻ قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات، وقول مجاهد رحمه الله هنا أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، وقول مجاهد رحمه الله، إما أن يكون قوله: البدع والشبهات، يعني البدع، سواء كانت بدعة كبرى مخرجة من الملة، أو بدعة غير مخرجة من الملة، فيدخل تحتها جميع البدع، سواء كانت بدعا كفرية وملا شركية، أو كانت بدعا دون ذلك، ويحتمل أن مجاهدا فسر السبل بأحد أفراده أو آحاده، فقوله: السبل: البدع والشبهات، لا تعني أن السبل منحصرة في البدع والشبهات، بل البدع والشبهات أحد أفراد السبل التي نهينا عن اتباعها، كما ذكرنا قبل قليل أن السبل هنا ليست محصورة في البدع فقط وإنما هي تعم البدع والملل الكفرية التي هي مناقضة للإسلام أصلا.

ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [4] وفي لفظ: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد [5] قوله في الحديث الأول: "من أحدث في أمرنا" وفي الثاني: "من عمل" الإحداث والعمل، أما بالنسبة للإحداث: فهو أن هذا الحديث يكون في المحدث

---

١ – سورة المائدة آية : ١٦.

٢ – الترمذي : الدعوات (٣٣٧٥) ، وابن ماجه : الأدب (٣٧٩٣) .

٣ – سورة المائدة آية : ١٦.

٤ – البخاري : الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأبو داود : السنة (٤٦٠٦) ، وابن ماجه : المقدمة (١٤) ، وأحمد (٦/٢٧٠) .

٥ – مسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأحمد (٦/٢٥٦).

نفسه الذي أحدث البدعة وأنشأها، وأما قوله: "من عمل عملا" هذا عام في من أنشأ البدعة فعمل بها، أو عمل ببدعة أنشأها غيره، ولهذا أهل العلم كثيرا ما يريدون الحديث بلفظه الأول ثم بلفظه الثاني، لأن اللفظ الثاني أعم من الأول، لأن قوله: من عمل عملا ليس عليه أمرنا، سواء كان هو الذي أحدث هذه البدعة، أو أحدثها غيره فعمل هو بها.

وأما الرواية الأولى فهي في حق من أحدث البدعة وأنشأها، وقوله: "فهو رد" يعني مردود، من إطلاق المصدر على المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [1] أي هذا مخلوق الله يقول هذا خلق الله، يعني مخلوق الله، هنا في هذا الحديث قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [2] ما صلة هذا الحديث بقوله: " باب وجوب الدخول في الإسلام " ؟. نقول: الإسلام مبني على أصلين: الإخلاص والمتابعة، ولا يتحقق هذا الدخول إلا بالأمرين، بالإخلاص الذي هو التوحيد، وبالمتابعة لرسول الله ﷺ وهذا الحديث الذي معنا حديث عائشة رضي الله عنها، أصل من الأصول التي تبنى عليها هذه الشريعة؛ لأنه يتعلق بمسألة الاتباع للنبي ﷺ ولهذا بعض أهل العلم يقول: إن التوحيد نوعان: توحيد المرسل وتوحيد المرسل، فتوحيد المرسل: هو توحيد الله ﷻ لأنه هو الذي أرسل الرسل. وأما توحيد المرسل: فهو المتعلق بالرسول ﷺ لأنه مرسل من عند الله. ومعنى توحيد المرسل هو ألا تجعل لك طريقا إلى الله إلا عن طريقه، ولا تتعبد ربك جل وعلا إلا بما شرعه لك نبيك ﷺ فإذا جعلت شخصا آخر تطيعه وتتبعه مع رسول الله ﷺ فقد أشركت في توحيد المرسل؛ لأنك جعلت لله ﷻ شريكا، وجعلته طريقا لك إلى الله ﷻ مع نبيك ﷺ لكن لا يفهم من هذا أن من سأل أهل العلم فعمل بما قالوا، أنه يكون قد أشرك مع رسول الله ﷺ غيره في الاتباع؛ لأننا نقول: إن أهل العلم تابعون لرسول الله ﷺ آخذون بسنته، فهم ينقلون عن رسول الله ﷺ ويبلغون عنه ما قال، ولسنا نتبع أهل العلم كاتباعنا لنبينا ﷺ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يجب طاعته طاعة مستقلة، وأما أهل العلم فاتباعهم إنما هو يكون تبعا لرسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿

---

١ – سورة لقمان آية : ١١ .

٢ – البخاري : الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأبو داود : السنة (٤٦٠٦) ، وابن ماجه : المقدمة (١٤) ، وأحمد (٦/٢٧٠).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [1] فأعاد الفعل مع الرسول ﷺ ولم يعده مع أولي الأمر، فدل على أن طاعتهم إنما تكون في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وأما النبي عليه الصلاة والسلام فإنه تجب طاعته عليه الصلاة والسلام استقلالا؛ لأنه لا يأمر ولا يأتي إلا بما فيه طاعة الله ﷻ وهو معصوم في بلاغه، أما غيره من أهل العلم فيخطئون ويصيبون ويغفلون، وليسوا معصومين فيما يبلغون أو فيما يقولون.

إذن هذا الحديث، صلته بالباب أن هذا الحديث متعلق بتوحيد المرسل الذي هو اتباع النبي ﷺ ودين الإسلام قائم على أصلين: الإخلاص والمتابعة، فقوله: باب وجوب الدخول في الإسلام، يعني بمتابعة النبي - ﷺ .

ثم ذكر حديث البخاري: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى [2] هذا الحديث الذي خرجه الإمام البخاري حديث يتعلق باتباع النبي - عليه الصلاة والسلام - فسبيله سبيل الحديث المتقدم في وجه إيراد المؤلف رحمه الله له في هذا الباب.

وقوله: "كل أمتي" المراد بالأمة هنا أمة الدعوة؛ لأن العلماء يقسمون أمة النبي ﷺ إلى قسمين، أمة الدعوة، وهم الناس كافة منذ بعث النبي عليه الصلاة والسلام، وأمة الإجابة وهم الذين أطاعوه واتبعوه ﷺ كما في قوله ﷺ لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة [3] وكما أخبر النبي ﷺ أنه يدعو ربه يوم القيامة خوفا على أمته فيقول: يا رب أمتي أمتي [4] يعني بهم أمة الإجابة، وقوله - عليه

---

١ - سورة النساء آية : ٥٩ .

٢ - البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٥) ، والنسائي : الاستعاذة (٥٥١٠) ، وابن ماجه : المقدمة (٣) ، وأحمد (٣٦١/٢).

٣ - البخاري : الجمعة (٨٨٧) ، ومسلم : الطهارة (٢٥٢) ، والترمذي : الطهارة (٢٢) ، والنسائي : الطهارة (٧) ، وأبو داود : الطهارة (٤٦) ، وابن ماجه : الطهارة وسننها (٢٨٧) ، وأحمد (٤٣٣/٢) ، ومالك : الطهارة (١٤٧) ، والدارمي : الطهارة (٦٨٣) .

٤ - البخاري : التوحيد (٧٥١٠) ، ومسلم : الإيمان (١٩٣) ، وأحمد (٢٤٧/٣).

الصلاة والسلام -: إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين [1] وهكذا من النصوص التي فيها ذكر أمة الإجابة، يعني أصحابه الذين اتبعوه ﷺ أو من تبع النبي ﷺ إلى يوم القيامة فهو من أمة الإجابة.

قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى [2] هنا قسم الناس قسمين من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى، ولم يذكر هنا النار، بل قال: من عصاني فقد أبى [3] قال العلماء هنا: أقام السبب مكان المسبب؛ لأن الإباء يتسبب عنه دخول النار، والطاعة يتسبب عنها دخول الجنة، فذكر النبي ﷺ ما تسبب عن الطاعة وهو دخول الجنة، ولم يذكر ما تسبب عن الإباء أو عن المعصية، وإنما قال: ومن عصاني فقد أبى [4] فأقام السبب مقام المسبب ؟ قال العلماء: إن إقامة السبب هنا مقام المسبب، لبيان أن عدم دخوله الجنة إنما كان بسبب إبائه، وأيضا لما ذكروا هذا إنما ذكره في هذا الحديث فقال: ومن عصاني فقد أبى [5] وأقام السبب مقام المسبب لأن هناك قرينة دالة على المسبب عن الإباء، وهو أن النبي ﷺ جعل الناس قسمين أهل الطاعة يدخلون الجنة، فالقسم الثاني لا بد أن يكون المقابل لهم وهم أهل النار، فيفهم من السياق بدلالة ما تقدم أن من أبى فهو من أهل النار؛ لأنه لا يدخل الجنة، والآخرة ليس فيها إلا الجنة أو النار، وقلنا: هذا الحديث فيه دليل على وجوب متابعته ﷺ ومتابعته عليه الصلاة والسلام تقتضي الدخول في الإسلام، والإسلام كما قدمنا قائم على الإخلاص والمتابعة. وقلنا: الشاهد فيه كالشاهد في حديث عائشة رضي الله عنها.

---

١ - البخاري : الوضوء (١٣٦) ، ومسلم : الطهارة (٢٤٦) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٢/٤٠٠) ، ومالك : الطهارة (٦٠) .

٢ - البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٥) ، والنسائي : الاستعاذة (٥٥١٠) ، وابن ماجه : المقدمة (٣) ، وأحمد (٢/٣٦١).

٣ - البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٥) ، والنسائي : الاستعاذة (٥٥١٠) ، وابن ماجه : المقدمة (٣) ، وأحمد (٢/٣٦١) .

٤ - البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٥) ، والنسائي : الاستعاذة (٥٥١٠) ، وابن ماجه : المقدمة (٣) ، وأحمد (٢/٣٦١).

٥ - البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٥) ، والنسائي : الاستعاذة (٥٥١٠) ، وابن ماجه : المقدمة (٣) ، وأحمد (٢/٣٦١) .

بعد ذلك قال: وفي الصحيح، يعني في " صحيح الإمام البخاري " عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أبغض الناس إلى الله ثلاثة [1] فقوله: أبغض الناس، هذا لفظ عام لكن يراد به الخصوص، يراد به من كان من أهل الإسلام، يعني أبغض الناس إلى الله من أهل المعاصي، إذا كانوا من أهل القبلة.

فقوله: أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم [2] والإلحاد هو الميل، والمراد به هنا: من أتى بما حرمه الله ﷻ في الحرم، والتعبير هنا بملحد وإن كان أحيانا الإنسان قد يفعل في الحرم الصغيرة من الذنوب ولا يفعل الكبيرة، إلا أن قوله: " ملحد في الحرم " مع أن الفعل قد يكون من صغائر الذنوب، إنما ذكر ذلك لأن السيئة في الحرم يعظم إثمها، ولا يضاعف إثمها ولكن يعظم الإثم، الإثم يعظم، لكن لا يضاعف، وهذا الحديث كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3] الله ﷻ جعل الهم بالسيئة يؤاخذ عليه الإنسان إذا كان في الحرم، مع أن حديث ابن عباس وغيره، الثابت في الصحيح أن من هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله حسنة، لكن إذا هم بها في الحرم عاقبه الله ﷻ عليها، وقلنا: إنما كان هذا لعظم شأن الحرم.

قال: ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية [4] السنة الجاهلية هي الطريقة والعادة التي كان عليها أهل الجاهلية قبل البعثة، أو هي ما أحدث في أمر الدين وإن لم يكن من عمل الجاهلية الأولى؛ لأن كل عمل أحدث وليس له أصل من الشرع فهو جاهلي وإن لم يكن معروفا في الجاهلية، فعندنا الآن مثلا بدعة المولد هذه لم تكن سنة جاهلية لم يكونوا يحتفلون في الجاهلية قبل يسلم بالمولد، بمولده عليه الصلاة والسلام لكن هذه سنة جاهلية؛ لأنها أحدثت في دين الله عز وجل.

يقال هذه مثلا عادة جاهلية، أو هذه طائفة جاهلية، أو هذا شاعر جاهلي وإن كان في الإسلام لكن تكون ويقال: هذه خصلة جاهلية هذه الجاهلية المقيدة توجد، وجدت بعد الإسلام، فأما المطلقة فقد محاها

١ – البخاري : الديات (٦٨٨٢).

٢ – البخاري : الديات (٦٨٨٢) .

٣ – سورة الحج آية : ٢٥.

٤ – البخاري : الديات (٦٨٨٢) .

الله ﷻ ببعثة النبي – عليه الصلاة والسلام – فليس هناك جاهلية تطبق على الأرض بعد بعثته – عليه الصلاة والسلام – لأنه – عليه الصلاة والسلام – قال: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين [1] .

ومن هنا قرر العلماء رحمهم الله أنه لا جاهلية مطلقة بعد بعثته – عليه الصلاة والسلام – وقوله: ومن طلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه [2] وهذا هو الثالث من هؤلاء الناس، وقوله: ومن طلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهرقه يعني من طلب إنسانا ليقتله إما أن يكون بحق أو بغير حق. فالذي بحق: أن يطلب السلطان قاتلا ليقيم عليه القصاص، أو مفسدا في الأرض ليقيم عليه حد الحرابة أو نحو ذلك فهذا لا يدخل في هذا الحديث؛ لأنه طلبه بحق. أو إنسان طلب دم وليه الذي قتل هذا له حق الطلب، فهذا النوع ليس داخلا في هذا الحديث. وإنما في هذا الحديث من طلبه بغير حق كأن يقتله أو يطلب دمه ليأخذ ماله، أو أنه يطلبه ليأخذه بجريرة غيره كأن يقتل رجل رجلا فيطلب ولي المقتول ولد هذا القاتل؛ ليقتله ولا جريرة له فيه، فمثل هذا طلبه بغير حق، وقد كان هذا عادة جاهلية معروفة، فهؤلاء الثلاثة هم أبغض الناس إلى الله ﷻ لكن قلنا من أهل المعاصي. وإنما قلنا هذا لأن الشرك هو أكبر الكبائر كما ثبت بذلك الحديث عنه ﷺ والإجماع منعقد على ذلك؛ ولو كان هذا في غير أهل الكبائر يعني من الناس أجمعين لكان أبغض الناس إلى الله ﷻ أهل الشرك، فلما لم يذكر أكبر الكبائر وهو الإشراك بالله ﷻ هنا، أو لم يذكر صاحبه دل ذلك على أن المراد بهؤلاء الثلاثة هم أهل المعاصي من هذه الأمة.

والشاهد في هذا الحديث قوله: ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية [3] وهذا الحديث يستدل به أيضا أو وجه الاستشهاد به على الباب قريب من سابقيه: حديث عائشة، وحديث أبي هريرة رضي الله عنهما؛ لأن قوله: ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية [4] يقتضي أن الإنسان يجب عليه أن يكتفي بالإسلام المحقق بالاتباع، وأن لا يحدث في الإسلام شيئا فمن ابتغى في الإسلام سنة جاهلية فإنه يكون قد خالف ما أوجب الله عليه من الدخول في الإسلام؛ لأن الدخول في الإسلام يراد به الدخول في الإسلام الذي جاء به الوحي من عند الله ﷻ وابتغاء سنة جاهلية في الإسلام ينافي هذا الواجب الذي أوجبه الله ﷻ عليه،

---

١ – مسلم : الإمارة (١٩٢٣) ، وأحمد (٣٨٤/٣).

٢ – البخاري : الديات (٦٨٨٢) .

٣ – البخاري : الديات (٦٨٨٢).

٤ – البخاري : الديات (٦٨٨٢) .

ويقتضي أنه لا بد من اتباع النبي ﷺ فيما يفعله الناس أو فيما يفعله أهل الإسلام، وإذا كان الواجب عليهم ذلك دلنا على وجوب الدخول في الإسلام الذي بعث به النبي ﷺ من غير شوائب بدع ولا محدثات.

قال ابن تيمية رحمه الله: " قوله " سنة الجاهلية " يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي في شخص دون شخص كتابية أو وثنية أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون، هذا الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية هو في " اقتضاء الصراط المستقيم " مفرقا لكن اختصره المؤلف رحمه الله وجمعه وذكره بهذه الصيغة المذكورة هاهنا، وهو واضح؛ لأن قوله: "يندرج في كل جاهلية مطلقة أو مقيدة ". ومر معنى الجاهلية المطلقة والجاهلية المقيدة.

قال: وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه هذا الحديث في صحيح الإمام البخاري قال: "يا معشر القراء" والقراء: هم الذين كان هذا اللفظ يطلق في الصدر الأول على العلماء، الذين علموا القرآن وعملوا به؛ ولهذا يقول بعض أهل العلم: هم العلماء العباد. قوله: يا معشر القراء استقيموا فإن استقمتم فقد سبقتم سبقا بعيدا [1] أي سبقتم غيركم سبقا ظاهرا؛ فإن أخذتم يمينا أو شمالا فقد ضللتم ضلالا بعيدا [2] أي: ضللتم كما قال العلماء أي ضللتم ضلالا قويا متمكنا ". هذا الحديث كما قال العلماء منتزع من قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾ [3] وأيضا هو منتزع من حديث ابن مسعود المفسر لهذه الآية؛ لأن قوله: يا معشر القراء استقيموا [4] وما أرى معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [5] وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [6]

١ – البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٢).
٢ – البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٢) .
٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.
٤ – البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٢) .
٥ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.
٦ – سورة هود آية : ١١٢ .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [1] ؛ " فإن استقمتم فقد سبقتم سبقا بعيدا "

هذا يقوله حذيفة رضي الله تعالى عنه للقراء، وهؤلاء القراء الذين كانوا قد سبقوا إلى الإسلام، فهو يحرضهم على الاستقامة وعدم الزيغ عن الطريق المستقيم يمينا أو شمالا؛ لأنهم إذا كانوا قد سبقوا وثبتوا فإن حظهم عند الله ﷻ أعظم ممن جاء بعدهم لسابقتهم، وأما إذا انحرفوا عن الصراط فإن ذلك يكون ضلالا بعيدا؛ لأنهم إنما انحرفوا بعد علم، لأنهم انحرفوا بعد علم لأنه قال: " يا معشر القراء " فهؤلاء قراء، عندهم وصف العلم؛ وإذن قال بعض العلماء إنهم سبقوا بشيء آخر وهو تقدمهم وسابقتهم في الإسلام، فإذا قد حصلوا هاتين الخصلتين العظيمتين.

فإذا استقاموا على هذا فهم خير من غيرهم لما آتاهم الله ﷻ من العلم وفضلهم به ومما لهم من السابقة، فإن انحرفوا عن هذا الصراط يمينا أو شمالا فقد ضلوا ضلالا بعيدا، وإنما جاء لهم هذا الوصف؛ لأنهم ضلوا بعد علم.

ثم قال: وعن محمد بن وضاح "وهو صاحب كتاب البدع والنهي عنها وهو كتاب مطبوع" : أنه كان يدخل المسجد "أنه" يعني أنه الضمير هنا عائد إلى حذيفة رضي الله تعالى عنه أي أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول فذكره، ثم ساق في سنده أثر ابن مسعود ﷺ "ليس عام إلا والذي بعده شر منه" وهذا ثابت أيضا في الحديث الصحيح: لا أقول عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير لكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم هذا الحديث أو هذا الأثر يبين فيه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن قوله: "ليس عام إلا والذي بعده شر منه" ليس هو متعلقا بأمور الدنيا، ولهذا قال: "لا أقول عام أمطر من عام" يعني أن السنة التي لا تمطر لا نقول إنها شر من السنة التي أمطرت، ولا السنة أو العام الذي وقع فيه خصب أو كان خصبا يعني وهو المراد به نبات الأرض وظهور عشبها بالمطر، إذا كانت سنة خصبة وسنة مجدبة لا نقول: إن السنة المجدبة شر من الخصبة، وكذلك ولا نقول: أمير خير من أمير. يعني أن السنة أو العام التي يكون فيه أمير خير من أمير أن السنة التي يكون فيها الأمير المفضول شر من السنة التي يكون فيها الأمير فاضل، يقول ابن مسعود: لا

١ – سورة فصلت آية : ٦.

أقول هذا ولكن أقول: "إن ليس عام والذي بعده شر منه؛ بذهاب علمائكم وخياركم"؛ لأنه إذا ذهب العلماء بقي الناس في جهل، وإذا ذهب الخيار بقي أشرار الناس، وهذا هو الشر المراد به بالحديث، يعني يكون جهل بذهاب العلماء وأشرار بذهاب الأخيار. " ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم " يعني يأتي أقوام يقيسون الأمور بآرائهم، والمراد به هنا أنهم يقدمون الرأي على الكتاب والسنة.

وقد استفاد بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [1] إبطال كل الآراء والأقيسة التي تخالف الشرع. قال: " يقيسون الأمور بآرائهم " هذا في الطائفة التي تعمل بالرأي وتدع الكتاب والسنة؛ لأن القياس ليس مذموما في كل أحواله وإنما المذموم هو أن يقدم الرأي على الشرع سواء بإحداث البدع وإنشائها أو بتقديم الرأي على الشرع، أما المسائل التي تحتاج إلى قياس من الحوادث والنوازل فهذه لا بأس من استعمال القياس فيها لكن بشرط أن يكون من مجتهد وأن يكون اجتهاده جاريا على أصول الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، ولا يكون في هذا القياس مناقضة لمعاني الشريعة وأحكامها، وأما إذا كان القياس قياس الرأي المؤدي إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال أو معارضة الكتاب والسنة أو ما كان عليه سلف هذه الأمة أو ما علم من دين الإسلام من المعاني المعتبرة بدلائل الشرع الكلية فإن هذا قياس مذموم؛ قال: " فيهدم الإسلام ويثلم " الهدم هو نقيض البناء، والثلمة هي الفرجة التي تكون بعد الهدم؛ هذا الأثر من بن مسعود ﷺ أيضا دال على مسألة اتباع النبي ﷺ لأنه لما ذم القياس مقايسة الأمور بالآراء دل على أن هذا الدين إنما يأخذ بالاتباع للنبي ﷺ وهذا أمره ظاهر هنا. هذا الباب:" باب وجوب الدخول في الإسلام " هذا فيه رد على الذين يزعمون أنه يجوز التعبد بالأديان السماوية وقد كثروا وتتعبد لله باليهودية سائغ أو بالنصرانية سائغ يشرطون أن يكون دينا سماويا، وهذا طبعا كفر وردة عن دين الله بإجماع العلماء لأنه لا دين بعد مبعث النبي ﷺ إلا دين محمد ﷺ وإلا لو كان يصح التعبد باليهودية والنصرانية لما قاتل النبي ﷺ من لم يؤمن من هؤلاء؛ وفيه أيضا رد على أهل البدع والأهواء الذين يحدثون محدثات ويضيفونها إلى دين الإسلام وفيه أيضا بيان المنهج الحق الذي يجب على المسلم أن يسلكه وهو أن يكون مخلصا متابعا لرسول الله ﷺ تاركا للأهواء والآراء؛ والأثر هذا والله ما يحفظ منها... لكن معناه صحيح ما فيه إشكال،

١ – سورة آل عمران آية : ١٩ .

لا والإسناد فيه مجالد لكن العلماء يتخففون في الآثار ولا يتشددون خاصة هذا الأثر واضح الكتاب دال عليه والسنة دالة عليه. العلماء رحمهم الله في الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين لا يشددون فيها في إيرادها لأنه لا تدخل في قوله – عليه الصلاة والسلام –: من كذب علي متعمدا [1] ولا: من قال ما لم أقل [2] من المعلوم أن الراوي الضعيف قد يحفظ والراوي الكاذب قد يصدف فإذا كان الأثر ليس فيه أصل شرعي وإنما الأصول الشرعية دالة عليه فيذكر استئناسا وهذا كثير في كلام الأئمة حتى في كلام أحمد وهو من أعلم الناس بالتصحيح والتضعيف؛ مجالد بن سعيد ضعيف إسناده كله جيد إلا مجالدا فيه ضعف، ضعيف لكن في مثل هذا الأثر يحتمل ما يضره.

١ – البخاري : العلم (١١٠) ، ومسلم : مقدمة (٣) ، وأحمد (٢/٤١٠).

٢ – البخاري : العلم (١٠٩) ، وأحمد (٤/٥٠) .

باب تفسير الإسلام

قال رحمه الله تعالى: باب "تفسير الإسلام" وقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾ [1] وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. [2] وفيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده [3] وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: أن تسلم قلبك لله وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة [4] رواه أحمد؛ وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله ﷺ ما الإسلام ؟ قال: أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال: أي الإسلام أفضل ؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. [5]

هذا باب " تفسير الإسلام "؛ لما ذكر فصل الإسلام ووجوب الدخول في الإسلام فسر الإسلام الذي له هذا الفضل والذي يجب الدخول فيه؛ فهذا تفسير للإسلام الذي له الفضل المتقدم والذي يجب الدخول فيه؛ قال وقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾ [6] هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ ﴾ [7] خطاب للنبي ﷺ ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

---

١ – سورة آل عمران آية : ٢٠.

٢ – مسلم : الإيمان (٨) ، والترمذي : الإيمان (٢٦١٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، وأبو داود : السنة (٤٦٩٥) ، وابن ماجه : المقدمة (٦٣) ، وأحمد (٥١/١) .

٣ – البخاري : الإيمان (١٠) ، ومسلم : الإيمان (٤٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، وأبو داود : الجهاد (٢٤٨١) ، وأحمد (١٥٩/٢) ، والدارمي : الرقاق (٢٧١٦).

٤ – أحمد (٣/٥) .

٥ – أحمد (١١٤/٤).

٦ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .

٧ – سورة آل عمران آية : ٢٠.

﴿ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [١] والوجه هنا إما أن يراد به الوجه المعروف وقد عبر به عن الذات يعني أنه أسلم نفسه لله ﷻ وإما أن يكون المراد أنه في قوله: ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [٢] يعني أسلمت قصدي يراد به القصد؛ ومثل هذه الآية قوله تعالى عن إبراهيم ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [٣] وأيضا قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [٤] وقوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [٦] فهذه الآيات مبينة لهذه الآية، والله ﷻ أمره النطق بقوله: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [٧] يعني أسلمت قصدي أو أسلمت نفسي لله ﷻ بمعنى أن الإنسان يجعل قصده ونيته لله ﷻ لا يشرك معه غيره، فقوله: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [٨] قوله: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [٩] يعني ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [١٠] أيضا أسلم وجهه لله عز وجل؛ لأن هذا مقتضى الاتباع للنبي ﷺ أن يكون مقتديا للنبي ﷺ وأعظم ما يقتدي به فيه هو إخلاص الدين لله ﷻ فهذه الآية تبين أن الإسلام هو إخلاص القصد لله تعالى.

---

١ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .
٢ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .
٣ – سورة الأنعام آية : ٧٩.
٤ – سورة لقمان آية : ٢٢ .
٥ – سورة البقرة آية : ١١٢.
٦ – سورة النساء آية : ١٢٥ .
٧ – سورة آل عمران آية : ٢٠.
٨ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .
٩ – سورة آل عمران آية : ٢٠.
١٠ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .

وفي قوله: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [1] هل قوله ﷻ ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [2] هل هذا إعراض عن المحاجة؟ أو أنه إقامة للحجة على الخصم؟ هي الآية تحتمل أن يكون ما فيها إعراضا عن المحاجة، ووجه هذا الإعراض أن هؤلاء جاءهم النبي ﷺ بالآيات والدلائل الدالة على صدقه وعلى وجوب توحيد الله ﷻ فلم ينتفعوا بها بل استكبروا، كما قال الله ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [3] فهؤلاء جاءتهم الحجج والبينات والبراهين وما زالوا يحاجون رسول الله ﷺ ويجادلونه؛ لأنهم لا يطلبون الحق فلهذا قوله: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [4] يعني أعرض عنهم يعني أعرض عن هؤلاء، وإما أن يكون المراد به هنا هو إقامة البرهان عليهم ووجه إقامة البرهان عليهم هو أنه قال: ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾ [5].

وهؤلاء اليهود والنصارى والمشركون يزعمون أنهم على دين الخليل إبراهيم عليه السلام وإبراهيم عليه السلام ذكر الله ﷻ أنه قال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ [6] وهذا معنى قول النبي – عليه الصلاة والسلام –: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ لِلَّهِ وَجْهِيَ ﴾ [7] هو معنى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ

١ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .
٢ – سورة آل عمران آية : ٢٠.
٣ – سورة الشورى آية : ١٦ .
٤ – سورة آل عمران آية : ٢٠.
٥ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .
٦ – سورة الأنعام آية : ٧٩.
٧ – سورة آل عمران آية : ٢٠ .

﴿ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [1] فما دام أنكم تزعمون أنكم على ملة إبراهيم عليه السلام فأنا لم آت إلا بما جاء به إبراهيم عليه السلام؛ فيلزمكم الإيمان بما جئت به واتباعي على ذلك، لأنه لما قال لهم: ﴿ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ لِلَّهِ وَجۡهِيَ ﴾ [2] أقام عليهم الحجة بهذه الآية؛ لأن هذا هو الذي كان عليه الخليل عليه السلام. وأنتم تزعمون أنكم على ملة الخليل كما ذكر الله عنهم: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾(٣) ؛ فإذا زعمتم أنكم على دين الخليل فما جئت به هو دين الخليل عليه الصلاة والسلام فاتبعوني على هذا الدين، فأقام ﷺ عليهم الحجة بهذا.

قال وفي الصحيح عن عمر يعني في " صحيح مسلم " وهو حديث جبرائيل المشهور هذا في تفسير الإسلام، فقوله باب تفسير الإسلام يعني يفسر الإسلام بما ورد في حديث جبريل عليه السلام وهو خير التفسير؛ لأنه تفسير رسول الله – – ﷺ؛ ثم قال: وفيه عن أبي هريرة مرفوعا: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٤) هو الحديث الصحيح جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي صحيح مسلم من حديث جابر ونحوه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأما حديث أبي هريرة فإنه خرجه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الترمذي؛ قوله: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٥) هذا الحديث والذي قبله في أعمال الجوارح؛ ففيه تفسير الإسلام بأعمال الجوارح فيه تفسير الإسلام بالأعمال الظاهرة؛ لأنها إما قول أو عمل جوارح، وقوله في حديث أبي هريرة: المسلم من

---

١ – سورة الأنعام آية : ٧٩ .

٢ – سورة آل عمران آية : ٢٠.

٣ – سورة آل عمران آية : ٦٧ .

٤ – البخاري : الإيمان (١٠) ، ومسلم : الإيمان (٤٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، وأبو داود : الجهاد (٢٤٨١) ، وأحمد (١٥٩/٢) ، والدارمي والدارمي : الرقاق (٢٧١٦).

٥ – البخاري : الإيمان (١٠) ، ومسلم : الإيمان (٤٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، وأبو داود : الجهاد (٢٤٨١) ، وأحمد (١٥٩/٢) ، والدارمي والدارمي : الرقاق (٢٧١٦) .

سلم المسلمون من لسانه ويده (١) هو لا يعادل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأن حديث عمر هذا فيه بيان حقيقة الإسلام بأركانه، وأما هنا فهو بيان للإسلام الكامل كما نص على ذلك أهل العلم، ويدل على أن المراد به هنا الإسلام الكامل أنه ثبت في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ في الصحيحين أنه أن النبي ﷺ سئل قيل: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ فقال: من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢) فدل على ذلك أن هذا في الإسلام الكامل، وأما دخول الإسلام فأما الإسلام يتحقق يعني أو الإسلام يفسر بما فسره به النبي ﷺ في حديث جبرائيل لكن كمال الإسلام هو يفسر بما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والله أعلم و- صلى الله على نبينا محمد -.

هذا يقول: نسمع كثيرا أن المنهج الحق هو اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فهل لنا أن ننتسب لهذا المنهج ونقول: نحن سلفيون، أما أن هذا من باب التزكية للنفس والتحزب، ومن خالف هذا المنهج يسمى غير سلفي هل هذا سائغ ؟

إطلاق لفظ السلف وارد عن المتقدمين من علماء هذه الأمة، عقيدة السلف أصحاب الحديث، والسلف هو من تقدمك، وهذا لفظ معروف عند العلماء وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة جدا وقرر أن الانتساب إليه حق لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾(٣) فقوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾(٤) ثم جاء بعده بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾(٥) فأولئك سلف لمن جاء بعدهم؛ وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ

١ - البخاري : الإيمان (١٠) ، ومسلم : الإيمان (٤٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، وأبو داود : الجهاد (٢٤٨١) ، وأحمد (١٥٩/٢) ، والدارمي : الرقاق (٢٧١٦).

٢ - البخاري : الإيمان (١١) ، ومسلم : الإيمان (٤٢) ، والترمذي : الإيمان (٢٦٢٨) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٩) .

٣ - سورة التوبة آية : ١٠٠.

٤ - سورة التوبة آية : ١٠٠ .

٥ - سورة التوبة آية : ١٠٠.

﴿جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾

(١) فمن تقدمهم فهو سلف لهم، والسلف أو السلفية ليست هي حزبا ولا يجوز التحزب لها كما أنه ﷺ نهى عن التحزب للأنصار والمهاجرين؛ يعني التحزب بمعناه المذموم الذي يقتضي تفريق الأمة، ولو كان غيرهم على المنهج الصحيح الحقيقي، لكن السلف يطلق، يقال عقيدة السلف؛ السلف: يراد بها الإسلام والسنة هذا يراد بها وينتسب لها الإنسان، لكن لا يجعل لفظ السلفية ، يجعل السلف حزبا مقابلا للأحزاب الأخرى، يعني ما تجعل السلفية حزبا يقابل الإخوان المسلمين ويقابل جماعات التبليغ هذه أحزاب ضالة، أما السلفية فهي دين الله الذي قال الله ﷻ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ (٢) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ (٣) والمذكور في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ (٤) هذا هو السلفية، أما أن يجعلها الناس حزبا فهذا غلط؛ لأن السلفية هي الدين الذي بعث به النبي ﷺهي دين الإسلام الذي بعث به النبي ﷺوكان عليه سلف هذه الأمة. أما أن تجعل السلفية مقابلة للأحزاب أو تجعل تصنف على أنها حزب فهذا لا يجوز تصنيفها على أنها حزب ولا يجوز لأحد تحزيب السلفية، بل هي دين الله الذي بعث به النبي ﷺلأنها الكتاب والسنة؛ وسيأتي إن شاء الله ﷻفي هذا الكتاب باب ما جاء في دعوى الخروج عن الإسلام " والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد .

١ – سورة الحشر آية : ١٠ .
٢ – سورة المجادلة آية : ٢٢.
٣ – سورة المجادلة آية : ٢٢ .
٤ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.

حديث الإسلام أن تسلم قلبك وأن تولي وجهك إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

كنا بدأنا في باب تفسير الإسلام ووقفنا عند حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ سئل عن الإسلام فقال: أن تسلم قلبك وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة [1] قال المؤلف رواه أحمد؛ كذلك رواه ابن حبان في صحيحه والنسائي والطبراني وغيرهما.

هذا الحديث في بيان تفسير الإسلام في الحديثين السابقين قلنا: إن هذا متعلق بالأعمال الظاهرة، إن الحديثين السابقين متعلقان بالأعمال الظاهرة لكن أحدهما في أركان الإسلام، والآخر في كمال الإسلام.

ثم بين في حديث بهز بن حكيم أن الإسلام ليس هو مجرد الأعمال الظاهرة فحسب لكن لا بد أن ينضم إليه عمل باطن، فلا يصح إسلام إلا ومعه إيمان، لكن ليس من شرط الإسلام أن يكون صاحبه كامل الإيمان، ولكن لا بد أن يكون معه أصل الإيمان وإلا كان منافقا؛ لأنه إذا كان مجرد الأعمال الظاهرة فقط دون أن يكون معتقدا بقلبه وهو الذي أشار إليه في الحديث بقوله: أن تسلم قلبك لله وأن تولي وجهك إلى الله [2] فإن هذا لا يكون مؤمنا إذا لم يكن معه هذا الأصل لا يكون مسلما إن لم يكن معه هذا الأصل. وعندنا إسلام في الظاهر وإسلام في الباطن فمن أظهر شعائر الإسلام وحقق الإسلام الظاهر حكم عليه أنه مسلما ظاهرا وعصم دمه وماله، وقد يكون في الباطن كافر عند الله تعالى لأنه لم يؤمن قلبه ولم يسلم لله ﷻ لكن الإسلام الذي تكون معه النجاة في الآخرة هو الإسلام الذي يكون معه إيمان في الباطن، لكن ليس من شرطه أن يستكمل الإنسان الإيمان أو أن يكون متصفا بالإيمان الكامل؛ بل الناس متفاضلون في الإيمان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

ثم بين المؤلف ثم ذكر حديث أبي قلابة عن رجل من أهل الشام هذا الرجل الذي من أهل الشام وقع في بعض روايات الحديث فأنه عمرو بن عبسة وأبو قلابة رحمه الله لم يدرك عمرو بن عبسة وهذا الحديث

---

١ - أحمد (٣/٥) .

٢ - أحمد (٣١٩/١).

الذي ذكره المؤلف رحمه الله خرجه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ومحمد بن نصر المروزي في " تعظيم قدر الصلاة "، وقد صحح العراقي رحمه الله في تخريج أحاديث الإحياء صحح إسناد الإمام أحمد رحمه الله.

هذا الحديث وهو قوله: أن تسلم قلبك ويسلم المسلمون من لسانك ويدك [1] هذا دليل على أنه لا بد أن يجمع في الإسلام بين الأمرين: بين إيمان الباطن وإسلام الظاهر؛ لأنه أطلقه هنا على عمل القلب مع أن الجوارح مجتمعون؛ ثم قال: أي الإسلام أفضل ؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت [2] عندنا المؤلف أو هذه الرواية وهي قوله في: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله [3] هذا تفسير المؤلف رحمه الله فسر الإسلام أولا بالأعمال الظاهرة ثم ذكر ما يدل على أنه لا بد أن يكون معه عمل في الباطن، ثم بين بهذا أن الإيمان هو أفضل الإسلام على ما في هذا الحديث، وبه يستدل على أن الإسلام لا بد أن يكون معه إيمان يعني معه أصل الإيمان؛ وهذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله هو المقرر عند أهل السنة والجماعة.

إذن نخلص من هذا إلى أن الإسلام إلى أن هناك إسلام ظاهر وهو من فعل شعائر الإسلام الظاهرة حكم بإسلامه ظاهرا، ولا يكون مسلما باطنا وظاهرا إلا إذا جمع مع أعمال الجوارح الإيمان الباطن، ثم الإسلام أيضا يعني مراتب ودرجات وأعلاه وأفضله كما ذكر في هذا الحديث الإيمان، نعم.

١ - أحمد (٤/١١٤) .

٢ - أحمد (٤/١١٤).

٣ - أحمد (٤/١١٤) .

باب قول الله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين أجمعين.

قال الإمام المجدد رحمه الله تعالى محمد بن عبد الوهاب: باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (1) ؛ وعن أبي هريرة ﷺقال :قال رسول الله ﷺ تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير؛ فتجيء الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير؛ ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال على ذلك فيقول الله ﷻإنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله ﷻإنك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطي؛ قال الله ﷻفي كتابه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (2) رواه أحمد. وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺقال: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (3) رواه أحمد.

باب قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(4)

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله لبيان أن الأعمال مبناها على الإسلام وهذا من فضائل الإسلام، فكل عمل لا يؤجر صاحبه ولا يصح ولا يقبل منه إلا إذا حقق الإسلام، والمراد به تحقيق توحيد الله عز وجل؛ فدل هذا على أن تحقيق التوحيد لله ﷻهو الأساس الذي تبنى عليه الأعمال قبولا وردا؛ فإن قوله

---

١ – سورة آل عمران آية : ٨٥.

٢ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .

٣ – مسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأحمد (٦/٢٥٦).

٤ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .

تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1] نص بيّن في أن من لم يحقق التوحيد فلا يقبل منه عمل، ومفهوم الآية أن من حقق التوحيد والإسلام فإن الله ﷻ يقبل منه عمله؛ وقد ذكر الله ﷻ انتفاء قبول العمل عن أهل الكفر : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[3] وقال تعالى في اشتراطه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[4] فقوله ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[5] هذا شرط لصلاح العمل، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾[6] ففيه اشتراط الإيمان لقبول العمل، وتعلمون أن الإسلام والإيمان إذا اشترطا اجتمعا يعني أن كل واحد منهما يطلق على الآخر، وإذا اجتمعا افترقا يعني أنه يكون لكل واحد منهما معنى خاص كما في حديث جبرائيل – عليه الصلاة والسلام – لما بين النبي ﷺ الإسلام والإيمان ذكر الإسلام بأركانه، وذكر الإيمان بأركانه وغاير بينهما – ﷺ –؛ وأما إذا افترقا فإنهما يجتمعان فقوله في الآيات: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[7] يعني أنه قد

١ – سورة آل عمران آية : ٨٥.
٢ – سورة التوبة آية : ٥٤ .
٣ – سورة الفرقان آية : ٢٣.
٤ – سورة النحل آية : ٩٧ .
٥ – سورة النحل آية : ٩٧.
٦ – سورة الأنبياء آية : ٩٤ .
٧ – سورة النحل آية : ٩٧.

قد حقق التوحيد لله ﷻ وهو معنى قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (١)

ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث أبي هريرة ﷺقال: تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة (٢) إلى آخره "؛ فمجيء الأعمال قال بعض أهل العلم: إنها تجيء شافعة لأصحابها، وقال بعضهم: إنها تجيء مخاصمة لأهلها، فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتجيء الصدقة (٣) إلى آخره. فعندنا الصلاة وعندنا الصدقة وعندنا الصلاة وعندنا الصيام وعندنا الإجمال في قوله: قوله: ثم تجيء الأعمال على ذلك (٤) يعني تجيء كما جاءت الصلاة والصدقة والصيام، ويقول لها الرب جل وعلا كما قال للصلاة والصدقة والصيام.

هذه أعمال وشرائع الإسلام جعل الله ﷻالقبول والرد مبنيا على الأصل وهو على الإسلام؛ لأنه قال في الحديث: بك اليوم آخذ وبك أعطي (٥) يعني بالإسلام المذكور قبل؛ فقوله: بك اليوم آخذ وبك أعطي (٦) هو الشاهد للباب؛ فبين أن بناء الأعمال السابقة من الصلاة والصدقة وسائر الأعمال أنه مبني على الإسلام وهذا ظاهر في الدلالة.

ثم قال: قال الله ﷻفي كتابه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٧) هذا ليس استدلالا وإنما هو استشهاد كما ذكره العلماء، يعني يستشهد النبي ﷺ على ما ذكره بهذه الآية. قال رواه أحمد، وهذا الحديث خرجه الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث الحسن عن أبي هريرة ﷺ والحسن لم يسمع من أبي هريرة كما ذكره الحافظ بن كثير، وهذا الحديث يعني مع ما فيه من هذا

١ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .
٢ – أحمد (٢/٣٦٢).
٣ – أحمد (٢/٣٦٢) .
٤ – أحمد (٢/٣٦٢) .
٥ – أحمد (٢/٣٦٢) .
٦ – أحمد (٢/٣٦٢) .
٧ – سورة آل عمران آية : ٨٥ .

الانقطاع لكن حسنه بعض أهل العلم كما، ومنهم القاري في " مرقاة المفاتيح "، هو الحديث أصله له شواهد كثيرة من الشريعة سواء من القرآن والسنة تصح أو تصحح أو تدل على أن هذا الحديث ليس في أصله ما ينكر.

ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها الذي مر معنا سابقا: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد. [1] رواه أحمد وهو أيضا رواية لمسلم وهو أيضا هذا اللفظ أيضا خرجه الإمام مسلم في صحيحه وقد سبق.

هذا الحديث قوله: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد. [2] سبق أن ذكرنا أن الإسلام مبني على الإخلاص والمتابعة للرسول ﷺ فالحديث الأول هو والمتعلق بالإسلام والتوحيد قلنا هذا متعلق بالإخلاص، والثاني من حديث عائشة رضي الله عنها متعلق بالشطر الآخر أو الركن الآخر وهو المتابعة للنبي ﷺ . يعني أن من وقع عمله على غير اتباع فلن يقبل منه، ومن وقع عمله على غير إخلاص فإنه لا يقبل منه. نعم.

١ – مسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأحمد (٦/٢٥٦) .

٢ – مسلم : الأقضية (١٧١٨) ، وأحمد (٦/٢٥٦).

باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه

وقول الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [1] ؛ روى النسائي وغيره: عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: أمتهوكون يا بن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، فلو كان موسى حيا واتبعتموه وتركتموني ضللتم [2] وفي رواية: ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي [3] فقال عمر: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا.

باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه.

والمراد بالكتاب هنا القرآن، والقرآن دال على سنة النبي ﷺ وقد قال بعض السلف: إن القرآن أحوج من السنة للقرآن وذلك أن السنة مبينة للقرآن، والله جل وعلا جعل بيان السنة من بيان القرآن، وقد ذكر ابن مسعود رضي الله عنه أن لعن الواصلة والمستوصلة في القرآن، وجاءته امرأة قالت: إني قرأت القرآن ما بين دفتيه فلم أجد ذلك " فقال: قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [4] وقد لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة.

فقوله باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب يعني هو السنة؛ لأن الله ﷻ أحالنا على سنة نبيه ﷺ بنصوص القرآن؛ فدل ذلك على أننا نأخذ ونستغني بالكتاب والسنة عن كل ما سواهما، سواء كان ما سواهما من الكتب السابقة المنزلة على أنبياء الله ورسله؛ لأنها نسخت بمبعث النبي ﷺ أو كان ذلك متلقى عن العادات والتقاليد، أو كان ذلك متلقى عن الأهواء أو كان متلقى عن القوانين والنظم فكلها يستغنى بما في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ عنها.

---

١ – سورة النحل آية : ٨٩ .

٢ – أحمد (٣/٣٨٧) ، والدارمي : المقدمة (٤٣٥).

٣ – أحمد (٣/٣٨٧) ، والدارمي : المقدمة (٤٣٥) .

٤ – سورة الحشر آية : ٧.

ومن المعلوم أن ما ليس في الكتاب ولا في السنة نوعان: نوع يتعبد به، هذا لا يجوز إلا أن يتعبد بالكتاب والسنة، ونوع آخر ليس داخلا في العبادات، وإنما هو من المصالح الدنيوية البحتة، فهذه إذا عارضت الكتاب والسنة فلا يجوز الأخذ بها، وإذا لم تعارض الكتاب ولا السنة فإنه يجوز الأخذ بها لأن الأصل فيها الإباحة.

قال: وقول الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [1] هذه الآية ذكر الله ﷻ أنه نزل الكتاب على النبي ﷺ تبيانا يعني بيانا لكل شيء، والتاء هنا للمبالغة وقوله: ﴿ لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [2] فلفظ عام، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء. ولم يقصره رحمه الله على أمر الحلال والحرام كما فعل مجاهد، فمجاهد قصره على الحلال والحرام وابن مسعود فعممه، ولهذا قال أهل العلم إن قوله: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [3] سواء من الحلال والحرام ما أمر به وما نهي عنه، سواء كان متعلقا بمصالح الدنيا أو بمصالح الآخرة، وطبعا دلالته -القرآن- أحيانا تكون دلالة تفصيلية وأحيانا تكون دلالة إجمالية وأحيانا تكون دلالة بالإحالة، تعلمون أن الله ﷻ قال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [4] وهذا ينتظم فيه كل ما سأل عنه الإنسان أو احتاج أن يسأل عنه الإنسان فقد أحاله الله ﷻ إلى أهل الذكر، وأهل الذكر في الأصل هم أهل العلم الشرعي، لكن ذكر بعض العلماء أنه يدخل فيه أصحاب كل فن، أصحاب كل علم يدخلون في عموم هذه الآية وإن كانت جاءت أصالة في أهل أصحاب العلم الشرعي، وهذه الآية: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ

١ - سورة النحل آية : ٨٩ .
٢ - سورة النحل آية : ٨٩.
٣ - سورة النحل آية : ٨٩ .
٤ - سورة النحل آية : ٤٣.

﴿ شَيْءٍ ﴾ (1) هي أيضا دل عليها قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (2) وهذا على أن المراد بالكتاب هنا الكتاب المنزل في أحد التفسيرين للآية؛ لأن بعضهم فسر قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (3) المراد به الكتاب القدري أي أن كل شيء مكتوب عند الله ﷻ وبعضهم يرى أنه الكتاب الشرعي ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (4) يعني أنه مماثل لهذه الآية: ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (5) وأيضا مثل هذه الآية قوله تعالى لما ذكر جملة كبيرة من الأحكام في سورة النساء قال: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (6) وأيضا ما ذكره الله ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (7) فقوله: ﴿ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (8) هذه عامة يدخل فيها الحلال والحرام لأن الله ﷻ لم يكن ليهلكهم أو يضلهم حتى يبين لهم ما يتقون من أمر الحلال والحرام فهو معنى قوله: ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (9) من الحلال والحرام.

---

١ - سورة النحل آية : ٨٩ .
٢ - سورة الأنعام آية : ٣٨.
٣ - سورة الأنعام آية : ٣٨ .
٤ - سورة الأنعام آية : ٣٨.
٥ - سورة النحل آية : ٨٩ .
٦ - سورة النساء آية : ١٧٦.
٧ - سورة التوبة آية : ١١٥ .
٨ - سورة التوبة آية : ١١٥.
٩ - سورة النحل آية : ٨٩ .

ثم ذكر المؤلف رحمه الله قال: روى النسائي وغيره، هذا روى النسائي وغيره ذكره حتى بعض أهل العلم عزوه إلى النسائي، لكن ليس هو موجودا في " تحفة الأشراف " ولا في " كنز العمال " وأيضا لم يعزه صاحب المشكاة إلى النسائي فالله أعلم.

قوله في الحديث: أمتهوكون يا بن الخطاب [1] قوله: أمتهوكون يعني أمتحيرون، يعني هل أنتم متحيرون في دينكم لا تعرفون دينكم حتى تضطروا إلى أخذه من اليهود وغيرهم. وهذا إنكار من النبي ﷺ على عمر لما رأى في يده ورقة من التوراة.

ثم قال ﷺ : لقد جئتكم بها بيضاء نقية [2] وهذا المعنى يوافق قوله تعالى: ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [3] فقوله: لقد جئتكم بها [4] يعني بهذه الملة، والضمير عائد إلى الملة؛ وقوله: بيضاء نقية [5] يقول العلماء العلماء وصفها بالبياض لكرمها وفضلها؛ لأن البياض كان أفضل الألوان عند العرب، ولهذا إذا كان هناك رجل لم يتدنس بما يعيبه قالوا: أبيض الوجه، دلالة على كرمه وفضله وشرفه؛ وقوله: نقية، يقول بعض أهل العلم: إنها قريبة من معنى بيضاء أي أنها خالصة لم تشب بشائبة ، هي بيضاء وهذه البيضاء خالصة لم تشب، وقال بعض أهل العلم: إن قوله بيضاء إن قوله نقية يعني يحتمل أنها يعني مصونة عن التبديل والتحريف، وخالية عن التكاليف الشاقة، وهذا أيضا يعني داخل في التفسير الأول لقوله نقية؛ فدل قوله: لقد جئتكم بها [6] يعني بهذه الملة بيضاء نقية على ظهور ما جاء به النبي ﷺ وعلى صفائه وخلوصه من الشوائب؛ من شوائب الشكوك والشبهات، كما أنه فيه يسر لا مشقة فيه كما في دين اليهود والنصارى؛ لأن اليهود والنصارى أولا دخل التوراة والإنجيل تغيير وتبديل فلم تعد بيضاء نقية كما أنزلت، والثانية: أن الشرائع السابقة فيها من الإصر والأغلال والحرج ما ليس في شريعة النبي – عليه الصلاة والسلام – فكأن

١ – أحمد (٣/٣٨٧).
٢ – أحمد (٣/٣٨٧) .
٣ – سورة النحل آية : ٨٩.
٤ – أحمد (٣/٣٨٧) .
٥ – أحمد (٣/٣٨٧).
٦ – أحمد (٣/٣٨٧) .

النبي ﷺ علل بهذا التعليل: لقد جئتكم بها بيضاء نقية [1] يعني كيف تنظرون في هذه الكتب والشريعة التي بعثت بها وجئت بها هي مغنية لكم عن النظر في هذه الكتب؟ لأن الشريعة التي جاء بها محفوظة من أن ينالها تبديل أو تغيير أو تحريف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [2] .

ثم إن هذه الشريعة ليس فيها من المشقة كما في الشرائع السابقة. فهذا فمن أخذ من كتب اليهود والنصارى فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ثم قال: ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي [3] وقبلها قال: ولو كان موسى حيا واتبعتموه وتركتموني ضللتم [4] فلأن الله ﷻ قد أخذ على الأنبياء الميثاق لو بعث النبي ﷺ فيهم لآمنوا به واتبعوه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ ﴾ [5] فلو أن النبي ﷺ بعث لوجب على النبي الذي بعث في وقته أن يؤمن به، وأن يتبعه يتبعه ﷺ ولهذا إذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان فإنه لا يحكم بشريعته، وإنما يحكم بشريعة النبي – ﷺ –؛ لأن شريعة النبي ﷺ لما نزلت كانت كافية عن كل شريعة، ولهذا قال الله ﷻ لما ذكر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ ﴾ [6] ثم قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ

---

١ – أحمد (٣/٣٨٧).

٢ – سورة الحجر آية : ٩ .

٣ – أحمد (٣/٣٨٧) ، والدارمي : المقدمة (٤٣٥).

٤ – أحمد (٣/٣٨٧) ، والدارمي : المقدمة (٤٣٥) .

٥ – سورة آل عمران آية : ٨١ .

٦ – سورة العنكبوت آية : ٥٠ .

عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ [1] فهذه مغنية فقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [2] هذه مغنية عن كل كتاب أو عن كل قانون أو عن كل رأي قد كفانا الله ﷻ بكتابه عن ذلك كله.

وقوله: ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي [3] لأنه ثم بعد بعثة النبي ﷺ يجب على كل الخلائق الإيمان به؛ لأن الله ﷻ أرسله للثقلين: الإنس والجن، والعرب والعجم، والأسود والأحمر، وللذكر والأنثى والملوك والزهاد والعباد والرؤساء والمرؤوسين، أرسله إلى الجميع وأوجب عليهم طاعته، فلو بعث النبي ﷺ في وقت أحد من الأنبياء للزمه اتباعه لأنه مرسل إلى الثقلين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من البشر.

وهذا الحديث الذي ساقه المؤلف وذكره وأخرجه الإمام أحمد رحمه الله وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم في السنة ومن حديث الشعبي عن جابر رضي الله عنه وله طرق وله أيضا شواهد، وهذه الطرق والشواهد وهي يعني ليس هذه الطرق والشواهد لا يسلم كل طريق منها من ضعف. وقد تنازع العلماء –تنازع أهل العلم– في هذا تصحيح هذا الحديث؛ لكن هذا الحديث الذي ذكر هاهنا وذكره المؤلف رحمه الله حكى بعض العلماء الإجماع على ما فيه يعني على دلالته على التحريم في النظر في الكتب في " التوراة والإنجيل ". والزركشي رحمه الله حكى إجماع العلماء على التحريم يعني تحريم النظر في التوراة والإنجيل؛ لأن الذي ينظر إليها ماذا يطلب منها؟ قد جعل الله في القرآن الكفاية ولا يأمن أن يقع في قلبه شيء من الشبه فيهلك، ولهذا، لكن هذا الإجماع طبعا محل نظر وقد انتقده واستدركه الحافظ بن حجر رحمه الله.

ومحصل كلام أهل العلم أن الناظر في التوراة والإنجيل إما أن يكون متمكنا أو غير متمكن، فإن كان غير متمكن فإنه منهي عن النظر فيهما، وإن كان متمكنا فهو على قسمين: إما أن ينظر فيهما لمصلحة كمن نظر فيهما لمناظرة اليهود والنصارى، وبيان التحريف والتبديل الذي وقع فيه، أو استخراج ما يدل

١ – سورة العنكبوت آية : ٥١.

٢ – سورة العنكبوت آية : ٥١ .

٣ – أحمد (٣٨٧/٣) ، والدارمي : المقدمة (٤٣٥).

على نبوة النبي ﷺ منها من الكتابين؛ ليلزم به اليهود والنصارى؛ فبعض أهل العلم وهو عليه العمل جارٍ من قديم، جرى عمل أهل العلم على هذا أنهم ينظرون فيهما إذا احتاجوا إليهما؛ لمجادلة أهل الكتاب.

القسم الثاني: ألا يكون هناك حاجة للنظر فيهما وإن كان متمكنا فعندئذ هو منهي عن النظر في التوراة والإنجيل وغيرهما مما يماثلهما؛ لأن النظر هنا جاء النهي عنه، قد جاء في حديث مرفوع إلى النبي ﷺ رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة وغيرهما أن النبي –عليه الصلاة والسلام – قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء [1] قد علقه البخاري في صحيحه، ووصله الإمام أحمد وابن أبي شيبة وغيرهما من حديث جابر، ولكن هذا الحديث فيه ضعف، في إسناده مجالد، ولكن هذا الحديث قد جاء ما يشهد له جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد حسن أو صحيح أنه قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، كيف يهدونكم وقد ضلوا أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل؟ [2] يعني إذا سألتموهم فأجابوكم فإما أن تكذبوا بحق قالوه، وإما أن تصدقوا بباطل قالوه فلا تسألوهم؛ وجاء في " صحيح البخاري" عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وما نزل على رسول الله ﷺ أحدث وقد نزل محضا لم يشب؟ " ثم ذكر قال: وكيف تسألونهم وقد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فوالله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

فإن قال قائل فما يصنع بقوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [3] ؟

والجواب عن هذا أن هذه الآية هي في مؤمني أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي ﷺ وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية جاءت لا لتقرير السؤال وإنما جاءت لنفي السؤال بمعنى أن النبي ﷺ لم يكن في قلبه شك مما جاء، مما أنزله الله ﷻ عليه، ولم يكن رسول الله ﷺ ليسأل أهل الكتاب؛ لأنه لم يكن عنده شك

١ – أحمد (٣/٣٣٨) .

٢ – أحمد (٣/٣٣٨).

٣ – سورة يونس آية : ٩٤ .

أصلا. فهذه الآية كأنها نزلت لنفي السؤال؛ لانتفاء الشك من قلب النبي – ﷺ –؛ وعلى كل قال العلماء هذه في مؤمني أهل الكتاب يسألون، إذا سئل مؤمنو أهل الكتاب فإنهم لا يجيبون إلا بما يوافق يعني القرآن والسنة ولا يأتون بشيء مما حرف وبدل؛ فتبين بهذا أن النظر في كتب أهل الكتاب منهي عنه.

وقلنا: إن بعض أهل العلم حكى الإجماع لكن إجماع قلنا يعني فيه محل نظر عند أهل العلم لكن لينبغي أن يعلم أن الناظر كما سبق التقسيم إما أن يكون متمكنا أو غير متمكن، فغير المتمكن أو المتمكن الذي ليس هناك مصلحة من نظره في هذه الكتب فإنه لا ينظر فيها، وأما المتمكن الذي ينظر في الكتب لمصلحة ظاهرة فهذا ينظر في هذه الكتب. نعم.

طبعا هذا باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه، هذا يعني يتعلق بفضل الإسلام من جهة كماله؛ لأن الله ﷻ جعل فيه غنية عما سواه، وهذا الكمال كمال في التشريع، وكمال في الحفظ والسلامة من التغيير والتبديل، كما أنه يدل على فضل الإسلام من جهة مصدره، وذلك أن الإسلام من عند الله ﷻ وهذا مما يفضل به الإسلام على سائر الديانات التي صارت ترجع إما إلى آراء الرجال وأهوائهم، وإما إلى عادات الناس وتقاليدهم وإما إلى كتب محرفة مبدلة. نعم.

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [1] وفي هذا عن الحارث الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يراجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم، فقال رجل يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله [2] رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

وفي الصحيح: من فارق الجماعة شبرا فمات، فميتة الجاهلية [3] وفيه: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم قال أبو العباس: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية"، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار قال ﷺ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ وغضب لذلك غضبا شديدا. انتهى كلامه رحمه الله.

هذا باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام.

يعني باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام. الدعوى هنا عن دعاء أو نداء الإسلام، وذلك أن الأصل أن يتسمى الإنسان بالأسماء الشرعية، الأصل أن يتسمى بالأسماء الشرعية وأن ينتمي إليها وهي: الإسلام والإيمان وعباد الله كما جاء في هذا الحديث، وتسمي الرجل بغير الأسماء الشرعية والانتساب إلى غيرها هذا خروج عن دعوى الإسلام؛ لأن دعوى الإسلام أن تنسب نفسك إلى الإسلام بالألفاظ التي ورد بها الشرع، فإذا انتسب الإنسان إلى غير الإسلام فالنسبة إما أن تكون محرمة مثل من ينتسب إلى المذاهب العلمانية أو الشيوعية أو الاشتراكية هذا وإن انتسب إليها وإن لم يكن محققا لمعناها، مثلا الآن ينضم إلى حزب اشتراكي أو شيوعي هو لا يؤمن بالشيوعية لكن ينضم للمصالح السياسية، هذا لا يجوز له ومحرم عليه هذا؛ لأنه انتساب إلى باطل قطعا.

---

١ – سورة الحج آية : ٧٨.

٢ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣) ، وأحمد (١٣٠/٤) .

٣ – البخاري : الفتن (٧٠٥٤) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٩) ، وأحمد (٣١٠/١) ، والدارمي : السير (٢٥١٩).

والثاني: انتساب ممدوح وهو الانتساب إلى الأشياء الشرعية يعني ممدوح ومحمود مثل انتساب الأنصار والمهاجرين؛ لأن الله ﷻ سماهم بذلك ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [1] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [2] فهذه نسبة شرعية، الانتساب إليها ممدوح؛ أنس بن مالك ﷺ ثبت في صحيح البخاري أنه سئل عن هذا الاسم هل هو شيء تسميتم به أو سماكم الله به؟ فقال: قد سمانا الله به وهو ظاهر من القرآن، فالنسبة إليه نسبة مدح وثناء، وقسم آخر يجوز الانتساب إليه وهو الانتساب مثلا إلى البلد كفلان دمشقي أو شامي أو نجدي أو نصري أو مكي، أو الانتساب إلى قبيلة كالقرشي، التميمي وهكذا، أو الانتساب إلى المذاهب الفقهية فلان حنفي، شافعي، حنبلي، فهذا أيضا انتساب مباح لأن المراد هو الأخذ بأصول هذه المذاهب، وأصولها أصول شرعية، مثل هذه ونحوها يجوز الانتساب إليها ما لم تفض إلى بدعة أو محرم، ما لم تفض إلى بدعة أو إلى محرم فإن أفضت حرم الانتماء إليها، كأن يتعصب الوالي لهذه القبيلة ويعادي فيها، أو يوالي في هذا البلد ويعادي فيه، يجعل الولاء فيه والعداء فيه، أو يجعل العصمة لمن يتبعه من الأئمة فهذا مفض إلى بدعة أو محرم فلا يجوز. مثل إنسان يجوز أن يقول أنا عربي أو أعجمي لكن إذا كان الانتساب إليها يفضي إلى بدعة كالذين يجعلون ولاءهم للعروبة فقط، يوالي العربي ولو كان كافرا ويتعصب له ويقدمه على المسلمين فهذا انتساب مذموم ومحرم؛ لأنه مفض إلى بدعة، لكن لو قال أنا فلان العربي هذا لا بأس؛ لأنه إخبار أو تعريف، العلماء يقولون: إذا كان من باب التعريف الذي لا يفضي إلى بدعة أو عصبية مذمومة أو أمر محرم فلا بأس بذلك، هذه هي التقسيمات التي ذكرها العلماء رحمهم الله.

والأصل في المسلم هو أن ينسب نفسه كما نسبه الله ﷻ لأن عندنا المسلمين والمؤمنين وعباد الله هذه تشمل جميع المسلمين من أول البعثة إلى قيام الساعة على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأمكنتهم وأزمنتهم تشملهم هذه، فيه أسماء خاصة ورد إطلاق الشرع عليها وهي المهاجرون والأنصار، وقد جاء على سبيل المدح لهم رضوان الله تعالى عليهم فهذا اسم خاص لطائفة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لا يشرك

١ – سورة التوبة آية : ١١٧ .

٢ – سورة التوبة آية : ١٠٠.

فيه غيرهم لأنه خاص فليس كل مسلم يكون أنصاريا ولا مهاجريا، لكن الأنصاري والمهاجري من المسلمين من المؤمنين من عباد الله، الانتساب أصلا يكون إلى الإسلام، ويجوز الانتساب إلى الأمر الممدوح كما انتسب المهاجرون والأنصار، نسبهم الله، وهذا مدح وثناء عليهم بهذا الوصف، لكن لو أفضى هذا الوصف كما ذكر العلماء إلى أمر محرم حرم، والدليل عليه ما ساقه المؤلف رحمه الله لما تشاجرا غلامان أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، فقال أحدهما: يا للأنصار، وقال الآخر: يا للمهاجرين، فتنادى كل واحد لما ينتسب إليه وكادت أن تقوم بينهم حرب بسبب هذا الدعاء نهى النبي ﷺ عن ذلك وغضب وقال: ما بال دعوى الجاهلية، دعوها فإنها منتنة [1] كما ثبت في الصحيحين، وثبت في صحيح البخاري لفظ آخر: دعوها فإنها خبيثة [2] فإذا كان الانتساب إليها على جهة التعصب مثل ما حصل في هذه القصة فإن العلماء يقولون: إذا كان هذا منهيا عنه فيما وفي أصله ممدوح فكيف بما هو في أصله مباح أو مذموم فإنه لا يجوز التعصب له مطلقا.

قال: باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام. والخروج عن دعوى الإسلام كما هو معلوم حسب التفصيل السابق، الأصل فيه التحريم؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه " من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه". ويقول مالك بن النضر رحمه الله: "إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فألحقه بأي دين شئت ". فالانتساب إلى غير أو الانتماء إلى غير الأشياء الشرعية فيه خطورة إذا كان الانتساب إليها مفض إلى بدعة أو معصية أو كان مورثا للعصبية، يعني يوالي ويعادي من أجل هذا، مثل الآن فيه أحزاب إسلامية يجعلون الولاء والبراء عليها الذي يكون في الحزب يوالونه وخارج الحزب يعادونه هذه العادة جاهلية، ومن عزاء الجاهلية المذمومة ومن التفريق الذي حذر الله ﷻ منه؛ لأن الأصل في هذه الأمة أن تكون واحدة: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [3] والتفرق منهي عنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [4] قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ

١ – البخاري : تفسير القرآن (٤٩٠٥) ، ومسلم : البر والصلة والآداب (٢٥٨٤) ، والترمذي : تفسير القرآن (٣٣١٥) ، وأحمد (٣٩٢/٣) .

٢ – البخاري : المناقب (٣٥١٨).

٣ – سورة الأنبياء آية : ٩٢ .

٤ – سورة الأنعام آية : ١٥٩.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]

فالأصل في هذه الأمة أنها أمة واحدة ولا يجوز تحزيب هذه الأمة، والموالاة والمعاداة من أجل هذه الأحزاب فإنها محرمة؛ هذه الأحزاب أولا: هي مورثة للتفرق؛ لأن كل حزب من هذه الأحزاب له منهجه وطريقته.

والثاني: إن فيها تعصب لهذه الأحزاب، والتعصب لهذه الأحزاب محرم شرعا لأنه جعل الولاء والبراء للحزب لا للإسلام؛ قال: وقول الله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [2] وفي هذا فقوله هو يعني به الله ﷻ وهذا هو المشهور، ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [3] يعني في الكتب السابقة ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ [4] يعني في القرآن ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ [5] يعني أن الله ﷻ سمى هذه الأمة مسلمين في الكتب السابقة وسماهم مسلمين في القرآن، وهذه تسمية من الله ﷻ لهذه الأمة تدل على فضيلة هذه التسمية وهذا الاسم؛ لأن الله ﷻ ذكره في الكتب السابقة ثم أكد ذكره في التنزيل على النبي – عليه الصلاة والسلام –؛ والثانية: إن هذه التسمية لا ينبغي للمسلم أن يتحول عنها؛ لأنه الاسم الذي اختاره الله ﷻ لهذه الأمة والله تعالى لا يختار لهذه الأمة إلا أكمل الأسماء وأتمها وأفضلها، فمن تسمى بغير الاسم الشرعي فقد خرج عن دعوى الإسلام؛ لأن الله ﷻ دعانا بهذا، دعانا بالمسلمين في الكتب السابقة وفي كتابنا، فمن خرج عما سمانا الله ﷻ به فقد خرج عن دعوى الإسلام؛ لأن الله ﷻ نادانا بهذا.

---

١ – سورة الروم آية : ٣١-٣٢ .
٢ – سورة الحج آية : ٧٨.
٣ – سورة الحج آية : ٧٨ .
٤ – سورة الحج آية : ٧٨.
٥ – سورة الحج آية : ٧٨ .

وفي آخر الحديث قال: فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين وعباد الله [1] هذه ثلاثة أسماء: الاسم الأول: المسلمين وهذه مثل ما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [2] وسمانا ﷻ المؤمنين: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ [3] فهذه هي يا عبادي تسميتنا بالعباد بعباد الله وبالمؤمنين: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [4] فهذه التسميات جاءت في الإيمان باسم الإيمان وبالإسلام ومنسوبة إلى الإيمان والإسلام، وأيضا جاءت تسميتنا بعباد الله، فهذه التسميات هي تسمية الله ﷻ لهذه الأمة فلا يخرج الإنسان عن دعوى الإسلام التي دعانا بها الله عز وجل. وطبعا قلنا هذا: سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله، هذه تشمل جميع الناس، لكن الأسماء الخاصة التي أطلقت على الأنصار والمهاجرين هذه لطائفة خاصة، وهم داخلون في هذا.

فالحديث جاء لبيان الأسماء العامة أو الأسماء التي يشترك فيها عموم المسلمين أتباع النبي – عليه الصلاة والسلام – وهي ثلاثة أسماء، فهذه الأسماء هي الأصل في الإطلاق ولا يجوز الخروج عن هذه الأسماء إذا كان الخروج عنها مفضيا لبدعة أو أمر محرم كما سبق بيانه في الأقسام السابقة.

هذا الحديث حديث الحارس الأشعري عن النبي ﷺ قال: آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع [5] والمراد من هنا السمع الذي ليس هو مجرد السمع الحسي وإنما المراد السمع الذي يكون على القبول والاستجابة؛ لأن الله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ

١ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣).
٢ – سورة الأحزاب آية : ٣٥ .
٣ – سورة العنكبوت آية : ٥٦.
٤ – سورة الإسراء آية : ٥٣ .
٥ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣) ، وأحمد (١٣٠/٤).

﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [1]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ ﴾ [2] سماع قبول واستجابة، قال: والطاعة والمراد بها هنا الطاعة للأمير أو للإمام كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [3] ؛ وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الأمير، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني. [4] والمراد به هنا طبعا طاعة الأمير في غير معصية الله لأن النبي ﷺ ثبت عنه في الصحيح أنه قال: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة [5] فطاعة الأمير مقيدة بأن تكون في غير معصية الله تعالى، وأما طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فهي طاعة مطلقة، وطاعة الرسول ﷺ إنما كانت طاعة مطلقة لأنه لا يأمر إلا بما فيه طاعة الله ﷻ وأما غيره من الأئمة والخلفاء والأمراء فهؤلاء قد يأمرون بمعصية الله تعالى، فإذا أمروا بمعصية فلا يطاعون، ولكن يطاعون في غير المعصية.

قال: " والجهاد " والمراد به هنا الجهاد بنوعيه: الجهاد المتعدي والجهاد القاصر عن النفس؛ فمجاهدة النفس داخلة في هذا الحديث مجاهدتها على العمل والإيمان وترك الفواحش والمنكرات داخل في هذا، والجهاد الذي هو قتال العدو يدخل هنا وهو الجهاد المتعدي، يعني الذي يكون نفعه للأمة ويتعدى مجاهدة النفس إلى مجاهدة الغير.

---

١ – سورة الأنفال آية : ٢٠-٢١ .

٢ – سورة النور آية : ٥١.

٣ – سورة النساء آية : ٥٩ .

٤ – البخاري : الجهاد والسير (٢٩٥٧) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٥) ، وابن ماجه : الجهاد (٢٨٥٩) ، وأحمد (٣٨٦/٢).

٥ – البخاري : الأحكام (٧١٤٤) ، ومسلم : الإمارة (١٨٣٩) ، والترمذي : الجهاد (١٧٠٧) ، وأبو داود : الجهاد (٢٦٢٦) ، وأحمد (١٤٢/٢) .

" والهجرة " بأنواعها سواء الهجرة التي فيها هجر ما نهى الله ﷻ عنه كما فسر النبي ﷺ المهاجر بأنه: من هجر ما نهى الله عنه [١] أو الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام أو من بلاد البدع إلى السنة، أو من بلاد الفسق إلى بلاد الطاعة والعمل الصالح، والهجرة سواء كانت قبل الفتح أو بعد الفتح كلها داخلة في لفظ الهجرة.

قالوا: " والجماعة " والجماعة والمراد بهم هم جماعة المسلمين وإن كانوا قلة، ولكن الجماعة إذا اجتمعوا على إمام وبايعوه وكانوا على الحق فهؤلاء داخلون في قوله والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه [٢] هذا تعليل لقوله الجماعة، والله ﷻ لما أمر بالجماعة بين النبي ﷺ أنه من فارق الجماعة قيد شبر، وقيد بكسر القاف يعني مقدار شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع [٣] والربقة: عبارة عن حلقة فيها حبل، هذه الحلقة توضع في رقبة البهيمة أو في رجلها ويمسك صاحبها بالحبل أو بالخيط الذي يكون متصلا بهذه الحلقة، فهذا الذي يفارق الجماعة قيد شبر يعني يفارقهم شيئا قليلا فهذا خلع ربقة الإسلام من عنقه، بمعنى أنه قد تحلل من الأحكام والحدود؛ لأنه تحلل من الأحكام والحدود، لأن الدابة إذا أزيلت عنها هذه الحلقة أو فلتت من هذه الحلقة وانخلعت منها فإنها يعني ترتع وتقع في أشياء لا يريدها صاحبها، كذلك من فارق الجماعة فإنه يكون بخروجه عن الجماعة قد وقع في تعدي حدود الله التي حدها لعباده، وخالف أحكام الله التي شرعها الله ﷻ لعباده.

قال: ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم [٤] ومن ادعى دعوى الجاهلية، دعوى الجاهلية إما التنادي ومن دعا بدعوى الجاهلية ونداء الجاهلية الذي كان كانوا يتنادون به في الجاهلية، ذلك أن الرجل إذا يعني أصاب خصومة مع غيره فإنه ينادي في قومه يا آل فلان يا آل فلان فتقع الحروب والقتال بينهم بسبب هذا، وينصر المدعو الداعي سواء كان بحق أو باطل، وهي عبارة مشهورة في الجاهلية: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، وجاء الشرع بهذه العبارة، فقال رسول الله ﷺ انصر أخاك ظالما أو مظلوما [٥] ولكن على

---

١ – البخاري : الإيمان (١٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، وأبو داود : الجهاد (٢٤٨١) ، وأحمد (١٩٢/٢).

٢ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣) ، وأحمد (١٣٠/٤) .

٣ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣) ، وأحمد (١٣٠/٤).

٤ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣) ، وأحمد (١٣٠/٤) .

٥ – البخاري : المظالم والغصب (٢٤٤٣) ، والترمذي : الفتن (٢٢٥٥) ، وأحمد (٩٩/٣).

على معنى صحيح بأن يكف الظالم عن ظلمه، وأما أولئك في الجاهلية فكانوا يعينون الظالم على ظلمه ويقاتلون معه ولو كان على الباطل، فهذه الدعوى يعني من دعوى الجاهلية.

وقال بعض أهل العلم: ومن ادعى دعوى الجاهلية يعني هو معنى ما مر معنا في الحديث السابق: ومبتغ سنة الجاهلية في الإسلام [١] هذه الدعوة دعوى الجاهلية هي يعني أنه عمل بسنن الجاهلية في الإسلام؛ فإنه من جثا جهنم [٢] جثا ضبطت بالقصر يعني أنه من جماعات جهنم؛ لأن جثا هو جمع جثوة أو جثوة أو جثوة، والجثوة أو الجثوة أو الجثوة هي الحجارة المجموعة يعني من حجارة جهنم، وضبطت بجثي وهو جمع جاث من جثا على ركبتيه إذا وقع عليهما كما قال الله ﷻ ﴿ وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [٣] وجثيا قراءتان. فقال رجل: وإن صلى وصام ؟ قال: وإن صلى وصام [٤] يعني أنه يكون من جثا جهنم وإن صلى وصام؛ لعظم ما ارتكبه، وقوله رواه أحمد والترمذي، وقال حديث حسن صحيح، في النسخ حسن صحيح غريب. قال: أطلقها على طريق من طرقه وطريق آخر خرجه أيضا وقال: حسن غريب، وهذا الحديث صححه ابن خزيمة في الصحيح وابن حبان، وصححه أيضا الحاكم وحسنه الحافظ الكفيف وألزم الدعوة القطني الإمام مسلما إخراجه في صحيحه في كتابه الإلزامات. قال وفي الصحيح والمراد هنا في الصحيح الصحيح المراد به الصحيحان من حديث ابن عباس: من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية [٥] هذا الحديث جزء من حديث فيه قول النبي ﷺ من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية [٦] .

هذا الحديث قوله: من فارق الجماعة [٧] إذا نظرنا إلى هذا العموم فإننا نرى أن مفارقة الجماعة أحيانا أحيانا تكون مفارقة في التسمي، وأحيانا تكون مفارقة بالخروج عليها، أما بالتسمية فالمؤلف رحمه الله

١ – البخاري : الديات (٦٨٨٢) .
٢ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣) ، وأحمد (١٣٠/٤).
٣ – سورة مريم آية : ٧٢ .
٤ – الترمذي : الأمثال (٢٨٦٣) ، وأحمد (١٣٠/٤).
٥ – البخاري : الفتن (٧٠٥٤) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٩) ، وأحمد (٣١٠/١) ، والدارمي : السير (٢٥١٩) .
٦ – البخاري : الفتن (٧٠٥٤) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٩) ، وأحمد (٣١٠/١) ، والدارمي : السير (٢٥١٩).
٧ – البخاري : الفتن (٧٠٥٤) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٩) ، وأحمد (٣١٠/١) ، والدارمي : السير (٢٥١٩) .

أدخله؛ أدخل هذا الحديث في هذا الموضع لأن قوله: " من فارق الجماعة " يشمل مفارقة الجماعة؛ جماعة المسلمين بالتسمي باسم آخر غير الاسم الذي عليه جماعة المسلمين وهي المسلمون والمؤمنون وعباد الله، فمن فعل ذلك فقد فارق الجماعة حتى في التسمية يكون مفارقا للجماعة، وفي هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سئل عمن يتسمى أو يسمى بالشكيلي أو الفرقندي يعني أسماء كانت موجودة عندهم لأقوام ينتسبون إلى هذا، فبين شيخ الإسلام رحمه الله أن لا يجوز الانتساب إليها، وأنه لا يجوز للإنسان أن يقر غيره على نسبته. ثم فصل رحمه الله في أنواع التسمية أو أنواع الانتساب كما سبق بيانه.

فقوله: " من فارق الجماعة " هنا استدلال بعموم النص الوارد عن النبي ﷺ من فارق الجماعة شبرا [1] لأن من فارقهم حتى ولو كانت المفارقة في التسمية فإنه يكون مفارقا لجماعة المسلمين؛ لأن الله ﷻ سمانا المسلمين والمؤمنين وعباد الله، فإذا استحدث اسما وانتسب إليه فقد فارق جماعة المسلمين في هذه التسمية، وقوله قال أبو العباس يعني ابن تيمية رحمه الله : " كل من خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية. يعني هذا الكلام الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مراده أن الانتساب إلى هذه الأشياء على طريق التعصب أو كان الانتساب إليها يفضي إلى بدعة أو معصية، أو كانت هذه التسمية في الاسم في أصله محظور شرعا مما يدل عليه من المعنى الباطل، كما سبق أن ذكرنا فإن هذه لا يجوز الانتساب إليها، ثم استدل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري يا للمهاجرين وقال الأنصاري يا للأنصار، قال ﷺ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وغضب لذلك غضبا شديدا وتقرير هذا أن انتساب المهاجري وانتساب الأنصاري انتساب صحيح؛ لأنه انتساب إلى الشيء الممدوح وقد سماهم الله ﷻ بهذا ، فإذا كان الانتساب قد ذم النبي ﷺ التعصب في هذه المسألة مع كون الأصل، أو كون الاسم ممدوحا شرعا فإن الأسماء التي هي مباحة أو التي هي محرمة فإن الانتساب إليها أو فإن التعصب لها محرم قطعا، والعلم عند الله تعالى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

١ – البخاري : الفتن (٧٠٥٤) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٩) ، وأحمد (٢٩٧/١) ، والدارمي : السير (٢٥١٩).

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين أجمعين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:- باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه...

وقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [3] قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾ [4] تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف.

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ ليأتين على أمتي ما أتي على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة – قالوا: ومن هي يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي، فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصا قوله ما أنا عليه وأصحابي؛ يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة [5] ؛ رواه الترمذي، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار؛ وهو في حديث معاوية عند

---

١ – سورة البقرة آية : ٢٠٨ .

٢ – سورة النساء آية : ٦٠.

٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

٤ – سورة آل عمران آية : ١٠٦.

٥ – الترمذي : الإيمان (٢٦٤١) .

أحمد وأبي داود وفيه: أنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله [1] وتقدم قوله: ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف رحمه الله: – باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه...

تقدم فيما مضى باب وجوب الدخول في الإسلام، وهذا الباب باب آخر وهو باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه؛ بمعنى أن الإنسان يجب عليه أن يدخل في الإسلام كله بجميع شرائعه وإن ترك العمل ببعض الشرائع ولكنه يقبل الإسلام كله ويستسلم لحكم الله ﷻ وإن تخلف العمل أحيانا فإن هذا العمل قد يؤاخذ عليه إذا كان واجبا، وقد ينقص ثواب الإنسان إذا كان العمل من السنن وليس من الفرائض؛ ولكن المقصود أن يقبل الإنسان ما جاء في شريعة الإسلام كلها؛ وكلما كان الإنسان عاملا بشرائع الإسلام كان أجره أعظم، ولهذا نقول: إن فضل الإسلام يتفاوت الناس فيه فمنهم من يحوز أعلى فضل الإسلام، ومنهم من دون ذلك، يعني أن الناس فيه درجات ليس كلهم على درجة واحدة فيما يحوزونه من أجر أو أجر فضل الإسلام أو من أجل الفضل المترتب على الدخول في الإسلام.

وقال: وترك ما سواه؛ بمعنى أن الدخول في الإسلام لا يكفي وحده، ولكن لا بد من ترك ما سوى الإسلام من الملل والعقائد وحتى من البدع والمحدثات، وحتى من الذنوب والمعاصي، كل هذه يجب تركها؛ لأن الذنوب والمعاصي ليست من الإسلام والبدع ليست من الإسلام، والعقائد والملل المخالفة لشريعة الإسلام ليست من الإسلام، والشرائع المخالفة للإسلام ليست من الإسلام؛ فكل ما لم يشرع في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فليس من الإسلام، ويجب على المسلم تركه، ولا يكفي أن يدخل الإنسان في الإسلام فحسب، ولكن لا بد أن يترك ما سوى الإسلام وترك ما سوى الإسلام معناه هجر ما سوى الإسلام، وأيضا اعتقاد بطلان ما ليس في الإسلام أو ما ليس من الإسلام، لا بد أن يعتقد الإنسان هذا، ولا يكفي أن يدخل الإنسان في الإسلام ولا يترك ما سوى الإسلام، فإذا دخل في الإسلام وفعل أفعالا ليست من

١ – أبو داود : السنة (٤٥٩٧) ، وأحمد (١٠٢/٤).

الإسلام أو أعمالا ليست من الإسلام، فهذه الأعمال قد يكون فعلها كفرًا، قد يكون فعلها كفرًا، وقد يكون بدعة، وقد يكون معصية، ولا بد أيضا أن يعتقد أن هذه الأشياء ليست من الإسلام؛ فكل ما خالف الإسلام فليس من الإسلام وهذا من ترك ما سواه؛ لأن ترك ما سواه يشمل هجر الفعل ويشمل أيضا عدم اعتقاد صحة هذه الأشياء وأنها منافية للإسلام سواء كانت تقتضي كفرا أو دون ذلك من البدعة والفسق.

وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [1] هذه الآية أمر الله فيها عباده أن يدخلوا في السلم كافة، والمراد بالسلم هنا الإسلام كما فسره بذلك ابن عباس ﷺ ومجاهد وعكرمة وطاوس فسروا السلم هنا بالإسلام؛ وقوله: كافة هذه نصبت على الحال من السلم يعني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [2] يعني في الإسلام بجميع شرائعه، ولهذا قال مجاهد في تفسير هذه الآية: اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر. وهذا هو التفسير المشهور لهذه الآية؛ ودلالة ذلك على وجوب الدخول في الإسلام ظاهرة؛ لأن الله ﷻ أمر في هذه الآية بالدخول في الإسلام، ولازم الدخول في الإسلام ترك ما سواه؛ لأن من التزم شرائع الإسلام وعمل بها فإن مقتضى ذلك أن يترك ما سوى الإسلام؛ لأن شرائع الإسلام جاءت آمرة بترك ما سوى الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [3] هذه الآية جاءت ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة إلى ما سواهما، وقد جاءت على سبيل الإنكار؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ﴾ [4]

---

١ – سورة البقرة آية : ٢٠٨ .

٢ – سورة البقرة آية : ٢٠٨.

٣ – سورة النساء آية : ٦٠ .

٤ – سورة النساء آية : ٦٠.

والاستفهام هنا استفهام إنكاري أنكر الله ﷻ فيه على من طلب التحاكم إلى غير دين الله ﷻ فهذه الآية أنكر الله فيها على من طلب التحاكم إلى غير شرع الله ﷻ ومعنى ذلك أن من لم يترك سوى الإسلام؛ فإنه لا يعد داخلا في الإسلام، أو لا يعد فاعلا ما أوجب الله ﷻ عليه من الدخول في الإسلام؛ لأن الدخول في الإسلام لا بد أن يجتمع فيه أمران: الدخول في الإسلام يعني تحقيق العبودية لله تعالى وترك ما سوى ذلك كما قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [1] والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد، فجعل الله ﷻ الأمرين متحتمين وهما الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، فلو آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت يعني لم يترك ما سوى الإسلام لم يتحقق له الإسلام؛ فقوله هنا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [2] الله ﷻ أنكر عليهم طلب التحاكم إلى غير الإسلام ثم قال: ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [3] يعني يكفروا بما سوى الإسلام ثم قال: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [4] فوصف طلبهم التحاكم إلى الطاغوت بأنه ضلال بعيد، والتحاكم إلى الطاغوت ترك للإسلام إلى ما سواه، فصار في هذه الآية ثلاثة أشياء:

الإنكار على من طلب التحاكم إلى غير الإسلام، ومعنى ذلك وإنه وإن أظهر الإسلام كما هو شأن المنافقين؛ لأن هذه الآية نزلت فيهم؛ فإنه وإن أظهر الإسلام لكنه طلب أو لم يكفر بالملل والنحل التي هي

١ – سورة البقرة آية : ٢٥٦ .
٢ – سورة النساء آية : ٦٠.
٣ – سورة النساء آية : ٦٠ .
٤ – سورة النساء آية : ٦٠.

خارجة عن الإسلام بل طلبها فإن هذا لم يحقق ما أوجب الله ﷻ عليه من الدخول في الإسلام وترك ما سواه.

ثانيا: أن الله ﷻ قال: ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ [1] وهو معنى قول المؤلف: وترك ما سواه.

والثالث : قوله: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [2] فوصف طلبهم التحاكم إلى الطاغوت بأنه ضلال بعيد؛ وطلبهم للتحاكم إلى الطاغوت قلنا هذا ينافي ما أوجب الله عليهم من الدخول في الإسلام وترك ما سواه.

والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [3] هذه الآية فيها قراءتان: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ [4] وهذه عليها الجمهور، والقراءة الثانية: "إن الذين فارقوا دينهم" وهي قراءة حمزة والكسائي، فقوله: إن الذين فرقوا دينهم أو فارقوا دينهم، كلا أو معنى الآية على كلا القراءتين يرد بعضه إلى بعض، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ [5] يعني أنهم حزبوا دينهم وإذا حزبوا دينهم فمعنى ذلك أنهم أعرضوا عن الشرع؛ لأن التحزب؛ لأن تحزيب الدين وتفريق الدين إنما هو ناتج عن الهوى؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ [6] وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا

١ – سورة النساء آية : ٦٠ .
٢ – سورة النساء آية : ٦٠.
٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
٤ – سورة الأنعام آية : ١٥٩.
٥ – سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
٦ – سورة البينة آية : ٤.

بَيْنَهُمْ ﴾ [1] فدل ذلك على أن التفرق ناتج عن الهوى، والهوى من المعلوم أن من اتبع هواه فإنه لم يستسلم لربه ﷻ كما أمر، ولم يترك ما سوى الشرعة أو الدين الذي أمره الله ﷻ به، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ [2] يعني تحزبوا فيه وجعلوه فرقا، فهؤلاء اتبعوا أهوائهم فلم يستسلموا لحكم الله ﷻ ولم يتركوا ما سوى ما أمرهم الله ﷻ به من الدخول فيه وهو الإسلام؛ لأن الآية عامة ليست في اليهود النصارى فحسب؛ ولكنها عامة في اليهود والنصارى وأهل الأهواء، جاءت في كل من فرق دينه سواء من الأمم السابقة أو في هذه الأمة؛ وقراءة:" فارقوا دينهم" يعني أنهم أن هؤلاء الذين فارقوا دينهم معناها أنهم لم يعملوا بالدين بل عملوا بما يخالف الشرع، ومنه أنهم جعلوا دينهم فرقا وأحزابا؛ قال الله ﷻ ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [3] فقوله ﷻ ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ ﴾ [4] هذا فيه تحذير بليغ ومفارقة للذين فرقوا دينهم؛ لأن الله قال لنبيه: لنبيه: ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ ﴾ [5] يعني أنه بريء منهم لأنه عليه الصلاة والسلام جاء بالاجتماع، ونهى عن التفرق والاختلاف، وجاء باتباع الشرع وطاعة الله ﷻ وترك ما سوى ذلك، فلم يكن النبي ﷺ منهم في شيء.

وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [6] هذا وعيد شديد وتهديد لمن فرق دينه أو فارقه، وإذا كان متوعدا على ذلك فمعناه: أن من لم يدخل في الإسلام بجميع شرائعه ويترك ما سواه فإنه على خطر عظيم.

---

١ – سورة الشورى آية : ١٤ .
٢ – سورة الأنعام آية : ١٥٩.
٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
٤ – سورة الأنعام آية : ١٥٩.
٥ – سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
٦ – سورة الأنعام آية : ١٥٩.

ثم أورد المؤلف رحمه الله أثر ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [1]

الذي أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره واللالكائي في قادح للسنة، قال: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف. فقوله: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، السنة تشمل أهل الإسلام الذين تمسكوا بما جاء عن رسول الله ﷺ والائتلاف ضد الاختلاف، وقوله: وتسود وجوه أهل البدع يشمل البدع الكفرية يعني التي تنقل من الملة، ويشمل البدع التي لا تنقل من الملة، والاختلاف ضد الاجتماع؛ فقوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [2] فقوله جل وعلا: ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [3] وإن كانت ظاهرة في أهل الكفر لكن السلف الصالح يستدلون بما نزل في الكفر الأكبر على ما دونه؛ وهذه الآية يعني أو هذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنه ظاهر في الدلالة على الباب؛ لأن من ترك السنة ووقع في البدعة على اختلافها أو ترك الاجتماع إلى الاختلاف والتفرق؛ فإنه لم يدخل في الإسلام كله ولم يترك ما سواه؛ لأن أهل البدع أهل أهواء سواء كانوا كفارا أو دون ذلك، والتفرق إنما ينتج عن الهوى، فصار هذا الأثر ظاهر الدلالة على مقصود المؤلف رحمه الله في هذا التبويب.

ثم ساق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهذا الحديث خرجه الإمام الترمذي في جامعه والحاكم والآجوري في الشريعة وابن نصر المروزي في السنة وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وفيه ضعف، لكن هذا الحديث له شواهد منها حديث أبي هريرة وهو حديث صحيح كما سيذكره المؤلف، ومن حديث معاوية أيضا وهو حديث حسن كما يذكره المؤلف، وحديث أبي أمامة من طرق وهو حديث حسن؛ فهذا الحديث –يعني له شواهد– حديث حسن بشواهده أو صحيح. يبقى قوله في الحديث: ما أنا

١ – سورة آل عمران آية : ١٠٦ .

٢ – سورة آل عمران آية : ١٠٦-١٠٧.

٣ – سورة آل عمران آية : ١٠٦ .

عليه وأصحابي [١] هذه اللفظة يعني هي لفظة مفسرة لقوله: إلا ملة واحدة [٢] جاء تفسيرها ما أن عليه وأصحابي، وهذه اللفظة لها شواهد، جاء في الرواية الأخرى تفسيرها بالجماعة، وهو ثابت وجاء تفسيرها بالسواد الأعظم والسواد الأعظم والجماعة وما في هذا الحديث: ما أنا عليه وأصحابي [٣] كلها معناها واحد؛ لأن قوله: ما أنا عليه وأصحابي [٤] الأصل في جماعة المسلمين هم أصحاب النبي ﷺ مع نبيهم عليه الصلاة والسلام هذه هي الجماعة، ثم أطلقت على من خلفهم من ورث ذلك عنهم إذا اجتمعوا على الحق، فهم جماعة المسلمين، وهي الجماعة فدل ذلك على أن المقصود هي المقصود بقوله الجماعة، أن المقصود بقوله الجماعة هو ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ابتداء ومن خلفهم تبع لهم على هذه الجماعة، والسواد الأعظم لا يراد به الكثرة فقط، وإنما يراد بالسواد الأعظم كما قال أهل العلم هو الاجتماع على الحق؛ لأن الطائفة المجتمعة على الحق يطلق عليها السواد الأعظم؛ لأن قوة الحق الذي معهم أقوى من كثرة الأشخاص، فهم السواد الأعظم، فدل هذا على أن قوله: ما أنا عليه وأصحابي [٥] له شواهد صحيحة، وأن المراد ما أنا عليه وأصحابي يعني هو المراد من قوله في الرواية الأخرى الجماعة، وفي الرواية الأخرى السواد الأعظم، ومعانيها مؤتلفة ليس بينها اختلاف.

قوله للحديث: ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل [٦] وهذا خبر منه -عليه الصلاة والسلام- لما يقع من أمته من التشبه بالأمم السابقة فيما فعلت، وقوله: حذو النعل بالنعل [٧] يعني يعني أن هذه الأمة تعمل مثل أعمال الأمم السابقة كما تقطع إحدى النعلين على قدر الأخرى؛ لأن النعل إذا صنعت قيست أختها عليها وصارت بمقدار واحد لا تختلفان وهذا معنى قوله: حذو النعل بالنعل [٨] يعني: أن هذه الأمة تماثل وتكون في غاية المماثلة والمطابقة والموافقة للأمم السابقة كما تطابق النعل النعل،

١ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١) .
٢ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).
٣ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١) .
٤ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).
٥ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١) .
٦ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).
٧ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١) .
٨ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).

حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وهذا كناية عن الزنا بالأم، والزنا إذا كان محرما؛ فإنه يشتد في المحارم ثم يكون أشد إذا وقع بالأم؛ لأن هذا مما تنفر عنه الطباع لكن لشدة المشابهة يقع ذلك من بعض الأمة لاتباعهم أهوائهم.

قال: وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي -والمراد بالأمة هنا أمة الإجابةوليست أمة الدعوة- على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار [1] وقوله: كلها في النار، يعني كل هذه الفرق، فمنهم من يخلد في النار إذا كانت بدعته كفرية، ومنهم من يكون مستحقا لدخول النار بوعيد الله ﷻ وقد يعفو الله ﷻ عنه.

إلا ملة واحدة [2] وهذه الملة هي التي وصفها النبي ﷺ فقوله: ما أنا عليه وأصحابي [3] شاهد للباب؛ للباب؛ لأن ما عليه النبي ﷺ وأصحابه والدخول في الإسلام كافة وترك ما سواه، ولهذا يعني يشهد لهذا ما تقدم في الحديث من قوله: وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار [4] ؛ لأن إنما كانت في في النار لأنها لم تدخل في الإسلام كله وتترك ما سواه، بل وقع عندها شيء من الهوى والمحدثات والبدع التي آلت بأهلها إما إلى الكفر وإما إلى البدعة التي تنافي ما أوجب الله ﷻ على الناس من الدخول في الإسلام كله؛ لأن معنى الدخول في الإسلام كله كما تقدم أن يدخل الإنسان في الإسلام كله يترك ما به كفر وما به بدعة وما به معصية.

قال: " فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام، خصوصا قوله ما أنا عليه وأصحابي يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة. " هذا الكلام المختصر من المؤلف رحمه الله فيه تذكير لمن كان يرجو لقاء الله ولا شك أن شرائع الإسلام من العمل الصالح والله تعالى قال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [5]

---

١ – الترمذي : الإيمان (٢٦٤١) .

٢ – الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).

٣ – الترمذي : الإيمان (٢٦٤١) .

٤ – الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).

٥ – سورة الكهف آية : ١١٠ .

قال: خصوصا قوله خصوصا قوله: ما أنا عليه وأصحابي؛ لأن قوله: ما أنا عليه وأصحابي، هو الفارق أو فهم هذه العبارة والعمل بمقتضاها هو الذي فرق بين أهل السنة والبدعة، فإن أهل السنة فهموا هذا وعملوا بمقتضاه فتحروا ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وعملوا به، وأما أهل الأهواء فإنهم لم يتحروا هذا ولم يعملوا به، والدليل على هذا أنهم قدموا الآراء الكلامية والقواعد الفلسفية على نصوص الوحيين، لأن كل الفرق والنحل والمذاهب تقدم العقل والرأي على ما جاء به الشرع، وأهل السنة والجماعة يتبعون ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ويقدمونه على العقل والرأي؛ لأن النبي ﷺ معصوم وما كان عليه جملة أصحابه فإن لهم العصمة فيه يعني بالمجموع، لا يعتريه خطأ ولا نقص فلذلك قدمه أهل السنة والجماعة على العقل والرأي الذي يلحقه نقص وخطأ وغفلة، وأيضا قد يكون الهوى مصاحبا لهم؛ ثم قال: يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة؛ والحياة -القلوب إنما تحيى بالشرع ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [1] فحياة القلوب إنما تكون بالشرع، وهذا إشارة إلى أهل السنة والجماعة الذين كانت قلوبهم حية بنور الكتاب والسنة فعملوا بموجب هذا الحديث وتفقهوا في قوله: ما أنا عليه وأصحابي [2] فجاء ما هم عليه موافقا لما عليه رسول الله ﷺ .

قال المؤلف: رواه الترمذي ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصححه، وحديث أبي هريرة أيضا أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد وصححه ابن حبان والحاكم وأيضا صححه الترمذي؛ لكن قال: ليس فيه ذكر النار المذكور في قوله: كلها في النار [3] قال: وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود؛ وحديث معاوية هذا إسناده حسن وقد حسنه الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر وجود إسناده الحافظ العراقي. وفيه يعني في حديث معاوية رضي الله عنه أنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء [4] يعني أن الأهواء تتجارى بهؤلاء القوم، بمعنى أنها تدخل وتجري وتسري فيهم -في عروقهم وفي مفاصلهم- يعني بمعنى أن هذه الأهواء تسيطر

١ - سورة الأنعام آية : ١٢٢ .

٢ - الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).

٣ - ابن ماجه : الفتن (٣٩٩٣) ، وأحمد (١٢٠/٣) .

٤ - أبو داود : السنة (٤٥٩٧) ، وأحمد (١٠٢/٤).

عليهم وتشرب بها قلوبهم. ثم ذكر النبي ﷺ تمثيل ذلك قال: كما يتجارى الكلب بصاحبه [1] والكَلب بالفتح هو داء تعرفه العرب يصيب الكلب، فإذا أصاب الكلب أصابه عطش شديد ولحقه الجنون وغالبا ما يموت من أثر هذا الداء، وإذا عض الكلب وهو في هذه الحالة شخصا فالغالب أنه يموت؛ ومثل النبي ﷺ قال: كما يتجارى الكلب بصاحبه [2] يعني الكلب داء الكلب إذا أصاب إنسانا؛ فإنه يكون شبه المجنون، وتعلمون أن المجنون يتصرف تصرفات لا إرادية، وهذا الداء إذا أصاب الإنسان أو أصاب الشخص؛ فإنه يسري إلى عروقه ومفاصله حتى يكون شبيها بالمجنون، وهكذا الأهواء إذا سرت في قلب الإنسان؛ فإنه يصبح بهذه الأهواء كالذي لا يعقل؛ لأن نصوص الوحيين تصير تابعة لهواه وليس هواه تابعا لها؛ فيقع في الاضطراب والتناقض والحيرة. وقوله: كما تتجارى بهم الأهواء [3] الأهواء وهو جمع هوى وهو ميل النفس إلى ما تشتهيه، والسلف يطلقون على أهل البدع أهل الأهواء وذكر العلماء أنه جمع الهوى هنا؛ لأن أنواع الهوى متعددة وأصناف البدع كثيرة؛ فالخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والجهمية والرافضة والنواصب إلى غيرهم هؤلاء كلهم أهل أهواء، كل منهم له بدعته فقال: تتجارى بهم الأهواء [4] يعني جاء بصيغة الجمع على اعتبار تنوع هذه الأهواء؛ ثم قال: ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية؛ لأن من ابتغى في الإسلام سنة الجاهلية؛ فإنه لم يدخل في الإسلام كله ولم يترك ما سوى الإسلام نعم.

١ – أبو داود : السنة (٤٥٩٧) ، وأحمد (١٠٢/٤) .
٢ – أبو داود : السنة (٤٥٩٧) ، وأحمد (١٠٢/٤).
٣ – أبو داود : السنة (٤٥٩٧) ، وأحمد (١٠٢/٤) .
٤ – أبو داود : السنة (٤٥٩٧) ، وأحمد (١٠٢/٤).

باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [١] وقوله: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ ﴾ [٣]

وفي الصحيح أنه ﷺ قال في الخوارج: أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد [٤] وفيه أنه نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء [٥] رواه مسلم.

وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: من دعا إلى هدى – ثم قال – ومن دعا إلى ضلالة [٦]

قال: باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر...

من المعلوم أن الذنوب منها ما هو كفر وشرك ومنها ما هو بدعة ومنها ما هو معصية وهي نوعان كبائر وصغائر، وهذا كرره أهل العلم رحمهم الله، كما ذكره الحافظ بن القيم في "بدائع الفوائد" والشاطبي في "الاعتصام" وشيخ الإسلام ابن تيمية، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذكر أن السنة والإجماع

---

١ – سورة النساء آية : ٤٨.

٢ – سورة الأنعام آية : ١٤٤.

٣ – سورة النحل آية : ٢٥.

٤ – البخاري : التوحيد (٧٤٣٢) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٦٨/٣).

٥ – مسلم : الزكاة (١٠١٧) ، والترمذي : العلم (٢٦٧٥) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٥٤) ، وابن ماجه : المقدمة (٢٠٣) ، وأحمد (٣٥٨/٤) ، والدارمي : المقدمة (٥١٤).

٦ – مسلم : العلم (٢٦٧٤) ، والترمذي : العلم (٢٦٧٤) ، وأبو داود : السنة (٤٦٠٩) ، وأحمد (٣٩٧/٢) ، والدارمي : المقدمة (٥١٣).

دالان على أن البدعة أكبر من الكبائر، وسعيد بن جبير ﷺ يقول: لأن يصحب ابني فاسقا شاطرا يعني يقطع الطريق سنيا أحب إلي من أن يصحب عابدا مبتدعا. وهذا يدل على ما ذكره شيخ الإسلام وغيره من أن البدع أشد من كبائر الذنوب وأغلظ؛ لأن العلماء يقولون: إن صاحب البدعة معارض للشرع بهواه، وأما صاحب المعصية؛ فإنه يعتقد أنه على خطأ، ولم يعارض الشرع، وإنما خالف الشرع بما أنه فعل ما نهاه عنه الشرع أو وقع أو ترك ما أمره به الشرع لا على سبيل المعارضة للشرع، وإنما فعل ذلك شهوة مع اعتقاده أن الشرع بخلافه، وأما المبتدع فإنه معارض للشرع غير مسلم لنصوص الشرع، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إن البدعة أشد من الكبائر. استدل المؤلف رحمه الله بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] وقبل ذلك البدعة هي كل ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ فهو بدعة، يعني أن ما أحدث في الدين مما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ فهو بدعة، وأما الكبائر فهي جمع كبيرة، وهي ما يعني كل ذنب ختمه الله ﷻ بنار أو غضب أو لعنة أو أوجب فيه حدا أو نفى الإيمان عن صاحبه فهو من كبائر الذنوب؛ والبدعة من الذنوب والمعاصي -لا شك- بإجماع العلماء لكنها أكبر من الكبائر، وهي نوعان نوع مكفر ونوع غير مكفر، فالمكفر ملحق بما يتعلق بالكفر وأما غير المكفر فإن صاحبه لا يكفر لكن جرمه أعظم من جرم مرتكب الكبيرة. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [2] فهذه الآية ذكر الله ﷻ فيها أنه لا يغفر الشرك كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3] وهذا بإجماع العلماء أن الشرك لا يغفر، والذي أجمع عليه العلماء هو الشرك الأكبر وأما الشرك الأصغر فقد وقع اختلاف بين العلماء هل يغفر أو لا؟ مع إجماعهم على أن من وقع في

١ - سورة النساء آية : ٤٨.

٢ - سورة النساء آية : ٤٨.

٣ - سورة المائدة آية : ٧٢.

الشرك الأصغر فإن مآله إلى الجنة، لكن هل ينفذ عليه الوعيد ولا يغفر يعني يعذب على الشرك الأصغر ثم يدخل الجنة بعد ذلك؟ أو أنه يكون مثل أصحاب الكبائر إن شاء غفر الله ﷻ له فلم يعذبه أبدا، وإن شاء عذبه ﷻ بذنبه ثم أدخله الجنة؛ فقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] قوله: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [2] يدخل فيه ما دون الشرك. المؤلف – رحمه الله – هناك احتمالات لإيراده لهذه الآية إما أن يكون أورد هذه الآية للاستدلال بها على أن البدع المكفرة لا يغفرها الله ﷻ لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [3] أو أورد المؤلف – رحمه الله – هذه الآية؛ لأن الذي يبتدع يكون مشركا في توحيد المرسل: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [4] ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [5] ويحتمل أن المؤلف أوردها؛ لأن البدع باب الشرك والكفر، هذه احتمالات لإيراد المؤلف للآية.

ثم ساق المؤلف الآية الثانية وهي قوله: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ [6] والمبتدع قائل على الله ﷻ بغير علم، ومضل للناس بدعوته إلى البدع سواء كان ذلك بحاله أو مقاله؛ ليس من شرط إضلال الناس أن ينادي الإنسان غيره ويدعوه إلى البدعة، ولكن إذا فعل البدع فرآه الناس فإنه والحال هذه بمنزلة الداعي للبدع؛ لأنه كأنه يقول هذا شرع الله وهذا دين الله؛ لأن المبتدع يقول هذه الصلاة المبتدعة أو هذا الدعاء المبتدع هذا من الشريعة مما يتعبد الله ﷻ به، فهو قائل على ربه ﷻ بغير علم، ثم إن فعله لهذه البدعة هو دعوة لغيره للتأسي به فيها فضلا عن لو أنه دعا

١ – سورة النساء آية : ٤٨.
٢ – سورة النساء آية : ٤٨.
٣ – سورة النساء آية : ٤٨.
٤ – سورة الشورى آية : ٢١.
٥ – سورة الجاثية آية : ٢٣.
٦ – سورة الأنعام آية : ١٤٤.

الناس إلى بدعته بقوله؛ وقوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [1] وفي الآية الأخرى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ ﴾ [2] وأثر ابن عباس السابق ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ [3] قال: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف؛ إذا جمعت هذه الآية مع الأثر مع الآية اللي عندنا تبين لك دلالة هذه الآية على أهل البدع وهي ظاهرة.

واستدل أيضا بقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [4] هذه الآية من سورة النحل قبلها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [5] ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [6] هذه الآية بين الله ﷻ أن الذين يضلون الناس بغير علم يحملون أوزارهم أوزارهم وأوزار غيرهم -لأنهم- لأن فعل غيرهم مسبب عنهم لأنهم سبب فيما فعله غيرهم من البدع والمحدثات والذنوب والمعاصي، فلما كانوا متسببين فيه، فقد حملوا أوزارهم يعني أوزارهم على اعتبار أنهم فاعلون وأوزار غيرهم على اعتبار أنهم هم الذين تسببوا في فعل غيرهم لهذه البدع أو هذه السيئات؛ وعلى

١ - سورة الأنعام آية : ١٤٤.
٢ - سورة الزمر آية : ٦٠.
٣ - سورة آل عمران آية : ١٠٦.
٤ - سورة النحل آية : ٢٥.
٥ - سورة النحل آية : ٢٤.
٦ - سورة النحل آية : ٢٥.

هذا نقول: إن هذه الآية لا تعارض قول الله ﷻ ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [1] ؛ لأنهم إنما حملوا أوزار غيرهم لأنهم تسببوا فيها فكان ما فعلوه أو ما فعله غيرهم مسبب عنهم فلهم يد فيه فعوقبوا على ما فعلوه لا على فعل غيرهم.

قال وفي الصحيح أنه قال في الخوارج: أينما لقيتموهم فاقتلوهم [2] وفيه – يعني – الأول في الصحيح يعني صحيح البخاري ومسلم من حديث علي ﷺ والثاني وفيه في صحيح مسلم من حديث أم سلمة مرفوعا أنه نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا. هذا الحديث هذان الحديثان إذا جمعت دلالتهما إلى بعض تبين لك مراد المؤلف؛ يقول: إن الخوارج أهل بدعة فأمر النبي ﷺ بقتلهم، وأمراء الجور أهل شهوة فلم يأمر النبي ﷺ بقتالهم بل نهى عن قتالهم لما قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا [3] فنهى النبي ﷺ عن قتالهم مع أن الخوارج كما تقدم لهم نهمة في العلم والعبادة ومع ذلك أمر النبي ﷺ بقتلهم؛ لأنهم أضر على الأمة من أصحاب الشهوة؛ لأن البدعة أثرها متعد إلى الغير واعتداء على الشرع، وأما الشهوة فهي قاصرة على صاحبها، وصاحبها غير معارض للشرع، كما تقدم معنا أن أهل الشهوات مقرون بأن ما يفعلونه خلاف الشرع، أما أهل الأهواء فإنهم يدينون بأن ما يفعلونه من الشرع، فلما كان الأمر كذلك أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج أهل البدع؛ لأن ضررهم متعد وهم أضر على الأمة من أصحاب الشهوات، ولم يأمر النبي ﷺ بقتال أئمة الجور؛ لأن ما يفعلونه إنما هو من باب الشهوات.

ثم ساق حديث جرير بن عبد الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أجورهم شيء [4] هذا الآن في تقرير مسألة من ابتدع بدعة وهو قوله: سن

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٦٤.

٢ – البخاري : التوحيد (٧٤٣٢) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٦٨/٣).

٣ – مسلم : الإمارة (١٨٥٤) ، والترمذي : الفتن (٢٢٦٥) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٠) ، وأحمد (٢٩٥/٦).

٤ – مسلم : الزكاة (١٠١٧) ، والترمذي : العلم (٢٦٧٥) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٥٤) ، وابن ماجه : المقدمة (٢٠٣) ، وأحمد (٣٦٢/٤) ، والدارمي : المقدمة (٥١٤).

سن في الإسلام سنة سيئة [1] وهي سنة الجاهلية التي مضت كان عليه وزرها، في الشهوة ليس عليه وزر إلا وزر الشهوة أو وزر المعصية، لكن في البدعة عليه وزرها ووزر من عمل بها؛ لأنه هو الذي سنها، ووزر من عمل بها من بعده؛ وهذا مقرر لما مر في الآيات السابقة ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ۗ ﴾ [2] ، فدلالتها والحديث الذي يليه أيضا من دعا إلى هدى هي دلالتها كدلالة قوله تعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ۗ ﴾ [3] نعم.

١ – مسلم : الزكاة (١٠١٧) ، والترمذي : العلم (٢٦٧٥) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٥٤) ، وابن ماجه : المقدمة (٢٠٣) ، وأحمد (٣٥٨/٤) ، والدارمي : المقدمة (٥١٤).

٢ – سورة النحل آية : ٢٥.

٣ – سورة النحل آية : ٢٥.

باب ما جاء في أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة

هذا مروي من حديث أنس ومن مراسيل الحسن.

وذكر ابن وضاح عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأياً فتركه فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلانا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث هي أشد عليهم من أوله: يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه [1] وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: لا يوفق للتوبة.

الباب السابق لما جاء من البدعة أشد من الكبائر هو هذا متصل بقوله وترك ما سواه في الباب الذي قبله؛ لأن السبب تقرير أن الدخول في الإسلام يقتضي ترك ما سواه من البدع ونحوها، فبين المؤلف – رحمه الله – في الباب السابق أن البدعة أشد من الكبائر معناه أن فضل الإسلام تاما كاملا لا يناله أهل البدع، وإن كانت البدعة غير مكفرة فإن صاحبها وإن حكمنا بإسلامه أو وإن كان مسلما إلا أنه لا ينال فضل الإسلام كامل لأنه لم يترك ما سوى الإسلام، وشرط نواله كاملا أن يدخل فيه كافة وأن يترك ما سواه، ثم إذا حصل منه تقصير أو خلل فإنه ينقص الفضل حتى يعود إلى أنه لا ينال شيئا من فضل الإسلام إذا خرج عن ملته. ثم جاء المؤلف – رحمه الله – بباب ما جاء في أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة وهذا أيضا تحذير من البدع؛ لأن البدع يعني تقدح في دين العبد وإذا كان كذلك فلا ينال الفضل أو فضل الإسلام على كماله. هذا الباب باب ما جاء في أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة قال: هذا مروي من حديث أنس ومن مراسيل الحسن، وحديث أنس أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" والبيهقي في "شعب الإيمان" وابن وضاح في "البدع" وابن عدي في "الكامل" والطبراني في "الأوسط" وإسناده لا يصح، وأيضا جاء كما ذكر المؤلف من مراسيل الحسن يعني التي رفعها إلى النبي ﷺ وقد روي أيضا عن الحسن موقوفا وكلا الموقوف والمرفوع لا يصح؛ وأيضا جاء من حديث حذيفة رضي الله عنه عند ابن ماجه وإسناده لا يصح، وجاء من حديث عائشة عند البيهقي في "الشعب" ولا يصح، فلا يصح في هذا الباب حديثا وأن الله حجز التوبة عن صاحب البدعة أو احتجز التوبة عن صاحب البدع هذه كلها لا تصح؛ ولهذا ابن الجوزي – رحمه الله – في كتابه "العلل المتناهية" قال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

---

١ – البخاري : التوحيد (٧٥٦٢) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٤/٣).

قال: وذكر ابن وضاح عن أيوب -يعني السختياني- قال: كان عندنا رجل يرى رأياً، قولهم يرى رأيا يعني أنه من أهل الأهواء، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلانا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه [١] هذا الكلام من ابن سيرين ظاهره أن صاحب البدعة لا يوفق للتوبة، وإن ترك رأيا فإنه يئول به الحال إلى رأي آخر؛ واستدل بقوله في الخوارج، قال ﷺ الخوارج يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه [٢] فقوله: يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية [٣] السادد بالسهم إذا أطلقه إنسان قوي على صيد فإن هذا الرمي أحيانا يدخل السهم في الصيد من جانب ويخرج من الجانب الآخر لقوة الرمي، وهؤلاء يعني الخوارج يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية بمعنى أنهم بما فعلوا يخرجون من الإسلام، لكن اختلف أهل العلم في خروجهم من الإسلام، هل هؤلاء الخوارج كفار أو مسلمون؟ عامة أهل العلم أنهم مسلمون وليسوا كفار. وقوله: يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية [٤] قد يكون هذا خاص بطائفة منهم وهي الطوائف التي تعتقد اعتقادات كفرية، أو أنه يكون في الطائفة الخاصة التي وصفها النبي ﷺ وهم الذين قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، يعني الطائفة المعينة وليس كل الخوارج يحتمل هذا ويحتمل هذا. قال: ثم لا يعودون إليه [٥] يعني لا يعودون إلى الإسلام، ومن هنا استدل ابن سيرين رحمه الله بقوله: ثم لا يعودون إليه [٦] على أن صاحب البدعة لا يعود إلى السنة؛ ثم ذكر كلام الإمام أحمد قال: لا يوفق للتوبة، وهذا شرح لقوله للأحاديث التي فيها أن الله احتجز التوبة عن صاحب البدعة، يعني كأن الإمام أحمد وابن سيرين يعني يحملون هذا على عادة الله ﷻ وسنته في أهل البدع أنه لا يوفقهم ﷻ للتوبة، وليس هذا محمولا على أن الله ﷻ لا يقبل توبة المبتدع إذا تاب؛ لأن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تقرر أن التوبة تقبل حتى من الكافر: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ

١ - البخاري : التوحيد (٧٥٦٢) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٤/٣).
٢ - البخاري : التوحيد (٧٥٦٢) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٤/٣).
٣ - البخاري : التوحيد (٧٥٦٢) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٤/٣).
٤ - البخاري : التوحيد (٧٥٦٢) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) ، وأحمد (٤/٣).
٥ - أحمد (١٥/٣).
٦ - أحمد (١٥/٣).

كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [1] ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾ [2] ومنها التوبة ومنها البدع؛ ومن هنا يعني كلام السلف محمول على أنه لا يوفق للتوبة كما قال الإمام أحمد، ولكن هذا لا يعني العموم الكلي التام؛ يقول العلماء: إن قول السلف أن المبتدع لا يوفق للتوبة أو أن الله حجب التوبة عنه ليس معناه أن هذا في كل مبتدع، ولكن يقولون هذا يعني هذا هو الغالب على أهل البدع ولهذا يقولون: إن هذا في العموم العادي وليس في العموم الكلي التام؛ لأن العموم الكلي التام يقتضي استغراق جميع آحاده، وأما العادي فإنه يطلق على الشيء الغالب، يقولون: والغالب على أهل البدع أنهم لا يعودون، ومن المعلوم أن ابن عباس ﷺ لما ناظر الخوارج جاء في مسند أحمد وصححه الحاكم أنه أعاد منهم أربعة آلاف لما ناظرهم عبد الله بن عباس ﷺ فعادت طائفة منهم وطائفة لم تعد؛ وتاريخ المبتدعة دال على أن القليل منهم هو الذي يعود والكثير منهم لا يعود، فكلام السلف وهذه الأحاديث إن ثبتت؛ لأن بعض أهل العلم يحسنها بمجموع طرقها يعني محمولة على أن الغالب على أهل البدع أنهم لا يتوبون، وقد يتوب منه أناس، وقد حصل أن تاب منه أناس، لكن صاحب البدعة لماذا لا يتوب من بدعته غالبا؟ قالوا يقول شيخ الإسلام: لأن المبتدع زين له سوء عمله فرآه حسنا، قال: فهو لا يتوب مادام أنه يرى فعله حسنا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه؛ قال: ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة لكن التوبة منه ممكنة ليست مستحيلة وواقعة يعني وقعت من بعض المبتدعة؛ لكن شيخ الإسلام يذكر لماذا صاحب البدعة لا يتوب؟ يقول: لأنه يرى أن ما يعمله حسنا، فإذا كان حسنا فإنه لا يتوب؛ لأن التوبة إنما تكون عن السيئات، وهو لا يرى هذا سيئا، فأول الدرجات أول درجات التوبة أن يعلم الإنسان أن ما فعله سيئا، والمبتدع يرى أن ما فعله حسنا؛ فلهذا كانت التوبة في حق المبتدع يعني بعيدة غالبا وليست دائما، أما في حق صاحب الشهوة؛ فإنه لأنه يرى أن ما يفعله سيئ يكون أقرب إلى التوبة من المبتدع، نعم.

١ – سورة الأنفال آية : ٣٨.

٢ – سورة الزمر آية : ٥٣.

باب قول الله تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم

باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [1] إلى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾ [2] وقوله: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ ﴾ [3] وفيه حديث الخوارج، وقد تقدم وفيه أنه ﷺ قال: إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون ؛ وفيه أيضا عن أنس أن رسول الله ﷺ ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال ﷺ لكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني [4] فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوباً عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟

باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [5] إلى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾ [6] هذا الباب يقصد به أن فضل الإسلام لا يكون لمدعي الإسلام، بل لا بد من تحقيق الإسلام باتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ وهذا ما تعطيه النصوص التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- في هذا. قال: باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ

---

١ - سورة آل عمران آية : ٦٥.

٢ - سورة آل عمران آية : ٦٧.

٣ - سورة البقرة آية : ١٣٠.

٤ - البخاري : النكاح (٥٠٦٣) ، ومسلم : النكاح (١٤٠١) ، والنسائي : النكاح (٣٢١٧) ، وأحمد (٢٨٥/٣).

٥ - سورة آل عمران آية : ٦٥.

٦ - سورة آل عمران آية : ٦٧.

وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [2] مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [3] هذه الآية ذكر الله ﷻ فيها محاجة أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في إبراهيم فزعموا أنه يهودي أو نصراني، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ [4] فكيف يكون يهوديا أو نصرانيا كيف يتبع المتقدم المتأخر أفلا تعقلون، وهذا من سنة الله ﷻ في خلقه أن من أعرض عن الشرع تبع هواه صرفه الله ﷻ عن الحق كما قال تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ﴾ [5] ؛ ثم قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ ﴾ [6] – يعني مما أنزل عليكم من التوراة والإنجيل – ﴿ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ ﴾ [7] – تقولون إن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا – ﴿ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا

١ – سورة آل عمران آية : ٦٥.
٢ – سورة آل عمران آية : ٦٦.
٣ – سورة آل عمران آية : ٦٧.
٤ – سورة آل عمران آية : ٦٥.
٥ – سورة الأعراف آية : ١٤٦.
٦ – سورة آل عمران آية : ٦٦.
٧ – سورة آل عمران آية : ٦٦.

﴿ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [1] ثم رد الله ﷻ على كل الطوائف التي ادعت -أن- إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ [2] يعني ليس على ملة اليهود ولا النصارى؛ ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [3] والحنيف هو المائل عن الشرك إلى التوحيد قصدا ثم قال: ﴿ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [4] والمراد يعني موحدا: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [5] ؛ فقوله مسلما قلنا مسلما يعني موحدا، وهذا هو الدين الذي تشترك فيه الرسل عليهم الصلاة والسلام أما ادعاء أن إبراهيم كان على شريعة اليهود والنصارى فهذا باطل. قال: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [6] وهذا فيه رد على مشركي العرب وغيرهم ممن يزعمون أنهم على دين الخليل عليه السلام؛ لأن هؤلاء كانوا مشركين وإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان موحدا، فرد الله ﷻ على كل الطوائف التي تدعي إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وهذه الآية يعني وجه الاستدلال بها ظاهر؛ لأن مجرد الادعاء لا يغني ولا يحقق الانتساب الصحيح إلى الملة.

وقوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [7] هذه الآية فيها معنى النفي ويراد بها التقريع والتوبيخ من يرغب عن ملة إبراهيم عليه والسلام، بين جل وعلا أنه لا يرغب عن هذه الملة إلا من سفه

---

١ - سورة آل عمران آية : ٦٦.

٢ - سورة آل عمران آية : ٦٧.

٣ - سورة آل عمران آية : ٦٧.

٤ - سورة آل عمران آية : ٦٧.

٥ - سورة النحل آية : ١٢٠.

٦ - سورة آل عمران آية : ٦٧.

٧ - سورة البقرة آية : ١٣٠.

نفسه، بمعنى أنه أهلكها وظلمها بسبب سفهه؛ وهذه الآية المذكورة هاهنا قوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [1] يعني إبراهيم؛ ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [2] هذه الآية دلت على أن من أعرض عن ملة إبراهيم وهي الحنيفية السمحاء فقد انتفى عنه أن يكون على ملة إبراهيم؛ لأنه ليس هناك إلا فهمان إما أن يكون على ملة إبراهيم والتوحيد، وإلا إما يكون من السفهاء يعني ظلموا أنفسهم فلم يكونوا على هذه الملة وهذه الملة ليست مجرد ادعاء؛ لكن هي مجرد تحقيق، فمن لم يعمل بهذه السنة فإنما هي دعوى لا حقيقة لها، أو لم يعمل بما كان عليه إبراهيم فإنما هي دعوى لا حقيقة لها وهو قد ظلم نفسه بسفهه ثم قال: وفيه حديث الخوارج المتقدم؛ لأن النبي ﷺ ذكر الخوارج أو ذكر فيهم: يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم وصيامه عند صيامهم [3] إلى آخره... ذكر النبي ﷺ فيهم من عبادتهم ومع ذلك لما لم يحققوا الاتباع وإنما ادعوه قال النبي ﷺ فيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية [4] ؛ ؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: إن أهل الأهواء مردهم إلى الزندقة لأنهم لا يزالون يتنقلون في الأهواء حتى يكفروا بالله ﷻ ويلحدوا في آياته.

قال: وفيه يعني في الصحيح وهو المراد صحيح البخاري ومسلم؛ قال: إن آل أبي فلان ليسوا بأولياء هذا في بعض النسخ في روايات البخاري في بعض روايات صحيح البخاري وفي بعضها: إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما أوليائي المتقون قوله: إنما أوليائي المتقون الثابت في الصحيح ليس هذه الجملة إنما أوليائي المتقون، إنما فيه: إنما وليي الله وصالح المؤمنين [5] أما: إنما أوليائي المتقون هذه جاءت في حديث آخر ليس هو هذا الحديث، وقوله في الحديث: إن آل أبي فلان هنا كنى عن هؤلاء، ولم يصرح من هم أبو فلان. قال ذكر النووي -رحمه الله- أنه لم يصرح الصحابي لم يصرح بهذا؛ لأن الرواة أو بعض الرواة قال: لم يصرح لأنه خشي أن يتسبب التصريح في مفسدة؛ لأنه إذا ذكرت القبيلة أو ذكر القوم قد يتسبب على ذلك مفسدة،

---

١ - سورة البقرة آية : ١٣٠.

٢ - سورة البقرة آية : ١٣٠.

٣ - البخاري : المناقب (٣٦١٠) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) ، وأحمد (٦٥/٣).

٤ - البخاري : المناقب (٣٦١١) ، ومسلم : الزكاة (١٠٦٦) ، والنسائي : تحريم الدم (٤١٠٢) ، وأبو داود : السنة (٤٧٦٧) ، وأحمد (٨٨/١).

٥ - البخاري : الأدب (٥٩٩٠) ، ومسلم : الإيمان (٢١٥) ، وأحمد (٢٠٣/٤).

قال وقوله: إن آل أبي فلان ليسوا بأولياء هذا من إطلاق الكل وإيراد البعض؛ لأن المقصود ليس كل آل أبي فلان ولكن المراد من لم يؤمن منهم هو الذي ليس وليا لرسول الله ﷺ أما إذا آمن فهو داخل في قوله عليه الصلاة والسلام: وصالح المؤمنين [1] وقوله: إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين [2] تعلمون أن الولاية لرسول الله ﷺ هي إنما تتحقق للإنسان باتباعه النبي عليه الصلاة والسلام فبين النبي ﷺ أن أولياءه هم صالحو المؤمنين، وصالح المؤمنين هم أتباعه على شريعته حقيقة لا ادعاء، إذا علم معنى هذا ظهر وجه الاستشهاد به هاهنا وأن المؤلف يبين أن الإسلام وأن فضل الإسلام لا يتحقق بالادعاء وإنما يتحقق بالاتباع الصادق، والاتباع الصادق تحصل به الولاية لرسول الله ﷺ .

ثم ذكر حديث أنس رضي الله عنه في قصة الثلاثة وهو أيضا حديث ثابت في الصحيحين، والشاهد منه قوله عليه الصلاة والسلام: فمن رغب عن سنتي فليس مني [3] وإن كان قصده صالحا؛ لأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كانوا يريدون صالحا ولكن هذا ما فعلوه لم يقرهم رسول الله ﷺ عليه وبين عليه الصلاة والسلام أنه ليس من سنته، وعلى هذا إذا فعل الإنسان أعمالا إذا عمل أعمالا؛ فإنها تقاس بسنة النبي ﷺ فإذا كانت خارجة عن السنة فإن انتماءه إلى السنة يكون ادعاء لا حقيقة. قال: فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوباً عن السنة فما ظنك بغير هذا من البدع وما ظنك بغير الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ يعني المؤلف – رحمه الله – يذكر أن هذا الفعل الصادر من الصحابة إنما هو مقصود. مقصوده العبادة والانقطاع إلى الله ﷻ العبادة، وأصل التعبد لله ﷻ مشروع؛ لأن الله ﷻ إنما خلق الخلق لعبادته، لكن لما كانت هذه العبادة وقعت على غير هدي النبي ﷺ منعهم النبي ﷺ وبين أن من رغب عن سنته فليس منه. قال: فما ظنك بغير هذا من البدع التي ليس لها أصولا البتة وما ظنك أيضا بغير الصحابة؛ لأن الصحابة لهم منزلة عظيمة لا توازيها منزلة من جاء بعدهم، ومع ذلك أنكر النبي ﷺ عليهم وبين أن من رغب عن سنته فليس منه فكيف من جاء بعدهم ممن لم يدرك

١ – البخاري : الأدب (٥٩٩٠) ، ومسلم : الإيمان (٢١٥) ، وأحمد (٢٠٣/٤).

٢ – البخاري : الأدب (٥٩٩٠) ، ومسلم : الإيمان (٢١٥) ، وأحمد (٢٠٣/٤).

٣ – البخاري : النكاح (٥٠٦٣) ، ومسلم : النكاح (١٤٠١) ، والنسائي : النكاح (٣٢١٧) ، وأحمد (٢٨٥/٣).

فضلهم ويكون له ما كان لهم من شرف الصحبة؟ فإن هذا لا شك يعني أن إلحاق الخطأ به أنه أولى وأحرى. والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد.

باب قول الله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة اللَّهِ التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللَّهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين أجمعين.

قال الإمام المجدد – رحمه الله – تعالى محمد بن عبد الوهاب:– باب قول الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (٢)

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (٣)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي " ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٤) رواه الترمذي.

---

١ – سورة الروم آية : ٣٠.

٢ – سورة البقرة آية : ١٣٢.

٣ – سورة النحل آية : ١٢٣.

٤ – سورة آل عمران آية : ٦٨.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وعمالكم

ولهما عن ابن مسعود ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك [1]

ولهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: وددت أنَّا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني هم الذين لم يأتوا بعد، قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ فقال: أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى، قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقًا [2] وللبخاري: بينما أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين ؟ قال: إلى النار، والله قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة – فذكر مثله – قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم [3]

ولهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ ﴾ [4]

---

١ – البخاري : الفتن (٧٠٤٩) ، ومسلم : الفضائل (٢٢٩٧) ، وابن ماجه : المناسك (٣٠٥٧) ، وأحمد (٣٩٣/٥).

٢ – البخاري : المساقاة (٢٣٦٧) ، ومسلم : الطهارة (٢٤٩) ، والنسائي : الطهارة (١٥٠) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٤٠٨/٢) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٣ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٧).

٤ – سورة المائدة آية : ١١٧.

ولهما عنه مرفوعاً: ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها، ثم قرأ أبو هريرة ﷺ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [1] متفق عليه.

وعن حذيفة ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا – قلت: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك [2] أخرجاه وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره، قال: قلت ثم ماذا؟ قال: ثم هي قيام الساعة [3]

وقال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء. انتهى.

تأمل كلام أبي العالية – رحمه الله تعالى– هذا ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسنة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [4] وقوله: ﴿

١ – سورة الروم آية : ٣٠.

٢ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٧٩) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٣ – أبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤).

٤ – سورة البقرة آية : ١٣١.

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ [2] وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة، وبمعرفتها يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله ويظنها في قوم كانوا فبادوا أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [3] رواه أحمد والنسائي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا الباب وهو باب قول الله تعالى ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [4] عقده المؤلف – رحمه الله – ليبين أنه يجب على المسلم أن يستمسك بالإسلام وأن يثبت عليه وأن يتوجه بقلبه إلى الله تعالى لا لغيره وأن يعنى بسلامة الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلائق عليها؛ ثم إنه فيه بيان بأن هذا الدين موافق للفطرة لا يخالفها، وهذا فوجه ارتباطه بفضل الإسلام، فضل الإسلام من جهتين الجهة الأولى أنه لا ينال هذا الفضل إلا من دخل في الدين واستمسك به ومات عليه، والثانية

---

١ – سورة البقرة آية : ١٣٢.

٢ – سورة البقرة آية : ١٣٠.

٣ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.

٤ – سورة الروم آية : ٣٠.

أن هذا الدين موافق للفطرة لا يخالفها. وقوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] فهذه الآية أمر الله ﷻ فيها عبده أن يوجه وجهه إلى الله ﷻ وأن يخلص قصده لله تعالى، ثم بين الله ﷻ أن هذا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ لأن هذا الدين وهو دين الإسلام هو فطرة الله التي فطر الناس عليها. وتفسير الفطرة بالإسلام في هذه الآية هو الذي عليه جماهير العلماء، بل حكاه بعض أهل العلم إجماعا أن المراد بالفطرة هنا هي الإسلام؛ ثم بين جل وعلا أن هذا هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [2] والآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [3] فقوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ ﴾ [4] الضمير هنا عائد على الكلمة وهي: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [5] في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [6] ووصى بها إبراهيم يعني ووصى بهذه الكلمة إبراهيم ووصى إبراهيم بهذه الكلمة بنيه، ووصى بهذه الكلمة يعقوب بنيه قائلا: ﴿ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

١ – سورة الروم آية : ٣٠.
٢ – سورة الأنعام آية : ١١٦.
٣ – سورة البقرة آية : ١٣٢.
٤ – سورة البقرة آية : ١٣٢.
٥ – سورة البقرة آية : ١٣١.
٦ – سورة البقرة آية : ١٣١.

﴿وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [1] فأولا هذه وصية إبراهيم ويعقوب عليه السلام وهي الوصية بالإسلام، والثاني في قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [2] ففيها تحريض على التمسك بالإسلام وفيها تحريض على الثبات على الإسلام حتى يتوفى الله ﷻ عبده لأنه قال: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [3] بمعنى اثبتوا على الدين حتى يتوفاكم الله ﷻ عليه.

والآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [4] وهذا أمر للنبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم وملة إبراهيم هي الإسلام، فأمر الله الله ﷻ نبيه ﷺ أن يكون من المسلمين المتبعين لملة إبراهيم عليه السلام التي توافق الفطرة.

ثم ذكر المؤلف حديث ابن مسعود رضي الله عنه إن لكل نبي ولاة من النبيين [5] يعني إن لكل نبي أحباء وقرناء هم أولى به من غيرهم. قال: وإن وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي [6] يعني أن ولي النبي ﷺ من الأنبياء هو أبوه إبراهيم عليه السلام وخليل ربي هذا من الخلة وهي خالص المحبة، فإبراهيم خليل الرحمن ومحمد ﷺ خليل الله، ثم قرأ مستشهدا: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾ [7] يعني إن أولى الناس بإبراهيم عليه السلام هم الذين اتبعوه سواء كانوا في زمانه زمانه أو بعد زمانه ممن جاء بعده على ملته، وهذا النبي -يعني نبينا- محمد ﷺ والذين آمنوا من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ وهذه الآية فيها رد على الذين يزعمون أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو

١ - سورة البقرة آية : ١٣٢.
٢ - سورة البقرة آية : ١٣٢.
٣ - سورة البقرة آية : ١٣٢.
٤ - سورة النحل آية : ١٢٣.
٥ - الترمذي : تفسير القرآن (٢٩٩٥) ، وأحمد (٤٢٩/١).
٦ - الترمذي : تفسير القرآن (٢٩٩٥) ، وأحمد (٤٠٠/١).
٧ - سورة آل عمران آية : ٦٨.

نصرانيا أو من المشركين؛ وهذا الحديث خرجه الترمذي وأحمد والحاكم وغيرهم، وقد اختلف في وصله وإرساله، قد رجح الترمذي وأبو زرعة وأبو حاتم الوجه المرسل.

ثم جاء بحديث أبي هريرة: إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [١] وهذا الحديث خرجه الإمام مسلم – رحمه الله – بروايتين: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [٢] وفي الرواية الأخرى: إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار ﷺ بأصبعه إلى صدره [٣] ؛ وقوله: ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وأعمالكم [٤] يعني ينظر إلى القلوب وما فيها من الصدق والإخلاص واليقين وما فيها أيضا من ضد ذلك، كما أنه ينظر جل وعلا إلى أعمال العباد: صالحها وفاسدها؛ وهذا الحديث ظاهر في الدلالة على ما ترجم له المؤلف – رحمه الله عز وجل. وذلك أن قوله: ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [٥] هذا هو الشاهد وأن الإنسان الإنسان يخلص قصده وعمله لله ﷻ وهو معنى قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾ [٦]

قال: ولهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ أنا فرطكم على الحوض [٧] يعني أنه ﷺ هو الذي الذي يتقدم أصحابه على الحوض وهو الحوض الذي يكون في عرصات يوم القيامة قد جاءت فيه أوصاف كثيرة كما هو في كتب السنة المشهورة.

قال: وليرفعن إلي رجال من أمتي [٨] أي يظهرهم الله ﷻ لرسوله ﷺ حتى يراهم. قال: حتى إذا أهويت أهويت لأناولهم [٩] يعني حتى إذا أهوى ﷺ ليناولهم من الحوض ليشربوا منه؛ قال: اختلجوا [١٠] يعني أنهم

١ – مسلم : البر والصلة والآداب (٢٥٦٤).
٢ – مسلم : البر والصلة والآداب (٢٥٦٤).
٣ – مسلم : البر والصلة والآداب (٢٥٦٤).
٤ – مسلم : البر والصلة والآداب (٢٥٦٤).
٥ – مسلم : البر والصلة والآداب (٢٥٦٤).
٦ – سورة الروم آية : ٣٠.
٧ – البخاري : الفتن (٧٠٤٩) ، ومسلم : الفضائل (٢٢٩٧) ، وابن ماجه : المناسك (٣٠٥٧) ، وأحمد (٣٩٣/٥).
٨ – البخاري : الفتن (٧٠٤٩) ، ومسلم : الفضائل (٢٢٩٧) ، وأحمد (٤٣٩/١).
٩ – البخاري : الفتن (٧٠٤٩).
١٠ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٢) ، ومسلم : الفضائل (٢٣٠٤).

اقتطعوا وجذبوا قهرا بغير اختيار منهم قال: اختلجوا دوني يعني أنهم يقتطعون بالقرب من النبي ﷺ قبل أن يناولهم عليه الصلاة والسلام شرابا من الحوض؛ قال: فأقول: أي رب أصحابي [1] ؛ لأن النبي ﷺ كان يعرفهم في الدنيا، وكانوا هؤلاء إما أن يكون من أظهر الإسلام وكان منافقا أو يكون أسلم في عهده عليه الصلاة والسلام ثم ارتد، أو يكون ممن أحدث في الدين بعد وفاة النبي ﷺ وإن لم يرتد ويكون اقتطاعه في هذه الحالة إنما هو اقتطاع مؤقت بمعنى –أن هذا– أن من عقوبته ألا يشرب من حوض النبي ﷺ وإن كان مآله إلى الجنة؛ فبعض العلماء يقصرها على واحد من هذه الأصناف وبعض أهل العلم يعممها في الجميع.

قال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك [2] يعني ما أحدثوا من الحدث الذي يكون في الدين، وقد قدمنا أنه قد يكون بما يخرج من الملة، وقد يكون ما هو دون ذلك.

ثم قال: ولهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وددت أنا قد رأينا إخواننا [3] ؛ هذا الحديث الذي الذي ذكره المؤلف وهو رواية مسلم ذكره النبي ﷺ لما زار المقبرة كما في صدر الحديث أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا [4] يعني ود النبي ﷺ أنه رآهم في الدنيا قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: " أنتم أصحابي [5] وقوله عليه الصلاة والسلام أنتم أصحابي لا ينفي أن يكونوا أخوة له عليه الصلاة والسلام، ولكن الصحبة شيء زائد عن الأخوة، فكل صحابي فهو أخ وليس كل أخ صحابيا ولهذا قال أهل العلم إن قول: عليه الصلاة والسلام: أنتم أصحابي [6] هذا فيه تفضيل للصحابة على من جاء بعدهم؛ لأن من جاء بعدهم إنما هم إخوة، وأما الذين صحبوا النبي ﷺ فهم إخوة ولهم الوصف الخاص وهو الصحبة؛ والصحبة أكمل من مجرد الأخوة؛ لأن الصحبة لها شرفها.

---

١ – البخاري : الفتن (٧٠٤٩) ، ومسلم : الفضائل (٢٢٩٧) ، وأحمد (٣٩٣/٥).

٢ – البخاري : الفتن (٧٠٤٩) ، ومسلم : الفضائل (٢٢٩٧) ، وابن ماجه : المناسك (٣٠٥٧) ، وأحمد (٣٩٣/٥).

٣ – البخاري : المساقاة (٢٣٦٧) ، ومسلم : الطهارة (٢٤٩) ، والنسائي : الطهارة (١٥٠) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٤٠٨/٢) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٤ – مسلم : الطهارة (٢٤٩) ، والنسائي : الطهارة (١٥٠) ، وأبو داود : الجنائز (٣٢٣٧) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٣٠٠/٢) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٥ – مسلم : الطهارة (٢٤٩) ، والنسائي : الطهارة (١٥٠) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٣٠٠/٢) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٦ – مسلم : الطهارة (٢٤٩) ، والنسائي : الطهارة (١٥٠) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٣٠٠/٢) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

ثم قال في الحديث: بين ظهراني خيل دهم بهم [١] الدهم هي السود، والبهم جمع بهيم وهو الذي لا يخالط لونه لون آخر، ويكون المعنى بين ظهراني خيل سود خالصة السواد، بمعنى أن أو المراد بهذا الحديث هو أن النبي ﷺ يشبه أصحابه في الأمم بهذا التشبيه وهو أن الرجل إذا كانت له إبل وكانت هذه الإبل غرّ محجلة يعني يخالط لونها لون آخر، ومنه الغرة والتحجيل، والغرة هي بياض في جبهة الفرس، والتحجيل بياض في يديه يدي الفرس ورجليها، فإذا كان هناك خيل سود خالصة السواد وهذه الغر المحجلة بينها تميزت الخيل الغر المحجلة عن تلك فيعرفها صاحبها، وهكذا أصحاب النبي ﷺ ومن سار على طريقتهم واتبعه عليه الصلاة والسلام يأتون يوم القيامة قد خصهم الله ﷻ بالغرة والتحجيل فيتميزون عن الأمم. ثم قال عليه الصلاة والسلام: ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال [٢] يعني أن هناك رجالا يبعدون ويطردون عن حوضه عليه الصلاة والسلام كما تطرد الإبل أو كما يطرد البعير الذي ضل إذا أراد الانضمام إلى جماعة الإبل الذين يتبعون الراعي. قال: أناديهم ألا هلم [٣] يعني أن النبي ﷺ ينادي هؤلاء الرجال أقبلوا لأنه عليه الصلاة والسلام كان يعرفهم في الدنيا وكانوا من أصحابه. فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك [٤] يعني لم يكونوا على ما كانوا عليه في حال حياته عليه الصلاة والسلام، فالنبي ﷺ إنما ناداهم بناء على ما كان يعلمه من أحوالهم ولكن حدث التبديل والتغيير من بعده؛ وهذا فيه رد على الذين يزعمون أن الرسول عليه الصلاة والسلام يعرف أحوال الأمة بعد الوفاة. قال: فأقول: سحقا سحقًا [٥] يعني يعني هذه الكلمة فأقول سحقا سحقا أي بعدًا بعدا لهم وكررها للتأكيد، وهذه الكلمة وهي سحقا تضبط بسحقا ضم السين وتسكين الحاء أو إسكان الحاء وبالضم فيهما يقال سحقا وبهما قرئ قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [٦] فالجمهور قرؤوها بالإسكان والكسائي قرأها بالضم في الموضعين في الحرفين سحقا.

---

١ – ابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦).

٢ – البخاري : المساقاة (٢٣٦٧) ، ومسلم : الطهارة (٢٤٩) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٢/٣٠٠) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٣ – مسلم : الطهارة (٢٤٩) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٤ – مسلم : الطهارة (٢٤٩) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٢/٤٠٨) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٥ – مسلم : الطهارة (٢٤٩) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٢/٣٠٠) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٦ – سورة الملك آية : ١١.

قال: وللبخاري: بينما أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم [١] يعني بينما النبي ﷺ قائم على الحوض المنصوب في عرصات يوم القيامة خرج رجل من بيني وبينهم يعني خرج رجل من بين هذه الزمرة وبين النبي عليه الصلاة والسلام، قال العلماء هذا الرجل هو ملك في صورة رجل، فقلت: فقال: هلم [٢] يعني الملك أو هذا الرجل الذي خرج يدعو هذه الزمرة فقلت: يعني النبي ﷺ أين؟ قال: إلى النار [٣] فهم يزادون عن الحوض ويقادون إلى النار كما تدل عليه مجموع الروايتين.

قلت: وما شأنهم؟ قالوا: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى [٤] أي أنهم رجعوا إلى الخلف؛ لأن القهقرى هي الرجوع إلى الخلف بمعنى أنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من قبل. ثم إذا زمرة [٥] – فذكر مثله – يعني زمرة أخرى عرفهم النبي ﷺ وخرج رجل من بينه وبينهم وقال: ما تقدم. قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم [٦] الهمل بالفتح هي الإبل التي ليس لها راع، والمعنى من هذا أنه لا يرد على حوضه عليه الصلاة والسلام من هؤلاء إلا قليل؛ لأن الهمل وهي الإبل الضوال والتي ليس لها راع هي بالنسبة إلى الإبل التي لها راع قليلة، فبين النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا يرد من هؤلاء على حوضه إلا قليل.

ولهما في حديث ابن عباس رضي الله عنه فأقول كما قال العبد الصالح [٧] يعني إذا قيل للنبي ﷺ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول النبي ﷺ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم [٨] – يعني كما قال عيسى عليه السلام؛ فقوله: كما قال العبد الصالح [٩] فيه إشارة إلى الرد على الذين يعبدون المسيح عليه الصلاة

---

١ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٧).

٢ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٧).

٣ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٧).

٤ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٧).

٥ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٧).

٦ – البخاري : الرقاق (٦٥٨٧).

٧ – البخاري : أحاديث الأنبياء (٣٣٤٩) ، ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٠) ، والترمذي : تفسير القرآن (٣١٦٧) ، والنسائي : الجنائز (٢٠٨٧) ، وأحمد (٢٥٣/١).

٨ – البخاري : أحاديث الأنبياء (٣٣٤٩) ، ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٠) ، والترمذي : تفسير القرآن (٣١٦٧) ، والنسائي : الجنائز (٢٠٨٧) ، وأحمد (٢٥٣/١).

٩ – البخاري : أحاديث الأنبياء (٣٣٤٩) ، ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٠) ، والترمذي : تفسير القرآن (٣١٦٧) ، والنسائي : الجنائز (٢٠٨٧) ، وأحمد (٢٥٣/١).

والسلام، فدعا النبي عليه الصلاة والسلام له بوصف العبودية لأن النصارى غلت فيه فعبدته من دون الله تعالى. فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت شهيدا عليهم ما دمت فيهم [1] يعني أن النبي ﷺ يذكر ما ذكره العبد الصالح عيسى عليه السلام، لأن النبي ﷺ دعا هؤلاء فقال: هلم، بناءً على ما كان يعلم من أحوالهم قبل وفاته عليه الصلاة والسلام؛ فهذا بيان أو قول النبي عليه الصلاة والسلام هذا فيه بيان أو تعليل لدعوته عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الذين بدلوا بعد وفاته؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يعلمهم حال الوفاة أما بعد الوفاة فالله ﷻ هو الرقيب عليهم. إذا ضممت هذا إلى ما تقدم من قوله عليه السلام: فأقول سحقا سحقا [2] وجدت الاستسلام لحكم الله ﷻ وعدم المجادلة، وإنما سلم لحكم الله ﷻ لأنه عن عن علم، فيستسلم النبي ﷺ للحكم ويعتذر عليه الصلاة والسلام عن قوله: أي رب أصحابي، وعن قوله وعن دعائه ﷺ لهم بالورود على حوضه. وهذا الحديث في هذه الروايات وهذا الحديث يدل الشاهد منه في قوله: إنهم قد بدلوا بعدك أو إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك [3] هذا فيه التحذير من التبديل والتغيير في الدين وبمفهومه يدل على وجوب الاستمساك بالدين حتى الوفاة فهو يوافق قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ ﴾ [4] فمن بدل أو غير فإنه لم يقم وجهه للدين حنيفا.

ثم ذكر المؤلف حديث ابن عباس فقال: ولهما عنه يعني عن ابن عباس مرفوعاً: ما من مولود يولد إلا على الفطرة [5] والفطرة هنا هي الإسلام كما ذكرنا في الآية، وليس المراد هنا أن هذا الطفل أو هذا المولود خرج من بطن أمه يعلم الدين فإن الله ﷻ قال: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا

١ – البخاري : أحاديث الأنبياء (٣٣٤٩) ، ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٠) ، والترمذي : تفسير القرآن (٣١٦٧) ، والنسائي : الجنائز (٢٠٨٧) ، وأحمد (٢٥٣/١).

٢ – مسلم : الطهارة (٢٤٩) ، وابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٣٠٠/٢) ، ومالك : الطهارة (٦٠).

٣ – ابن ماجه : الزهد (٤٣٠٦) ، وأحمد (٤٠٨/٢).

٤ – سورة البقرة آية : ١٣٢.

٥ – البخاري : الجنائز (١٣٥٨) ، ومسلم : القدر (٢٦٥٨) ، والترمذي : القدر (٢١٣٨) ، والنسائي : الجنائز (١٩٥٠) ، وأبو داود : السنة (٤٧١٤) ، وأحمد (٣١٥/٢) ، ومالك : الجنائز (٥٦٩).

﴿ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [1] ولكن المراد أن فطرة هذا المولود التي فطره الله ﷻ عليها تقتضي معرفته لله ومحبته للإسلام، فلو خلي بينه وبين الفطرة فلم تغير ولم تبدل -فإذا لم تغير فطرته ولم تبدل- فإنه لم يعدل عن الإسلام إلى غيره؛ أما معرفة تفاصيل الدين فهذه إنما يتلقاها عن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، لكن المولود يولد وقد هيأه الله ﷻ للإقرار بربوبيته ومحبة دينه، فإذا لم يوجد عارض يعارض هذا ويصرف هذه الفطرة عن هذا فإنها تقبل على الإسلام. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه [2] قال العلماء: ولم يقل أو يسلمانه لأن الأصل هو الإسلام المذكور في قوله: على الفطرة. قال: كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء [3] وهذا تمثيل من النبي عليه الصلاة والسلام وتشبيه يعني أن البهيمة تلد بهيمة جمعاء بمعنى أنه لم يذهب شيء منها بل قد اجتمعت خلقتها؛ هل تحسون فيها من جدعاء؟ [4] يعني هل ترون؟ قد جاء في الرواية الأخرى: هل ترون فيها من جدعاء؟ [5] يعني الجدع هو أصله قطع الأذن، فالمراد يعني هل تحسون تحسون فيها نقصا حتى تكونوا أنتم تجدعونها، يعني أنها تولد سوية وإنما يحصل الجدع بعد ولادتها؛ وهذا أيضا تشبيه الفطرة بهذا يعني أن الإنسان يولد سويا على الفطرة وإنما يحصل التغيير وحبس الفطرة بعد الولادة بعد ولادته فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذا الحديث مثل ما ثبت في حديث عياض بن حمار ؓ أن الله ﷻ قال: خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين [6] وفي رواية: خلقت عبادي حنفاء حنفاء مسلمين فاجتالتهم الشياطين [7] يعني تخطفتهم الشياطين وأهوتهم وأضلتهم فغيرت فطرتهم التي فطرهم الله تعالى عليها؛ ثم استشهد أبو هريرة ؓ بقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ

---

١ - سورة النحل آية : ٧٨.

٢ - البخاري : الجنائز (١٣٥٨) ، ومسلم : القدر (٢٦٥٨) ، والترمذي : القدر (٢١٣٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧١٤) ، وأحمد (٢/٢٧٥) ، ومالك : الجنائز (٥٦٩).

٣ - البخاري : الجنائز (١٣٥٨) ، ومسلم : القدر (٢٦٥٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧١٤) ، وأحمد (٢/٣١٥) ، ومالك : الجنائز (٥٦٩).

٤ - البخاري : الجنائز (١٣٥٨) ، ومسلم : القدر (٢٦٥٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧١٤) ، وأحمد (٢/٣١٥) ، ومالك : الجنائز (٥٦٩).

٥ - البخاري : الجنائز (١٣٥٨) ، ومسلم : القدر (٢٦٥٨) ، وأبو داود : السنة (٤٧١٤) ، وأحمد (٢/٣١٥) ، ومالك : الجنائز (٥٦٩).

٦ - مسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥) ، وأحمد (٤/١٦٢).

٧ - مسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥) ، وأحمد (٤/١٦٢).

عَلَيۡهَاۚ ﴾ [1] فهذا الحديث يعني أورده المؤلف رحمه الله لأنه بيان للآية؛ لأنه بيان لقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ ﴾ [2] وهو دال على ما دلت عليه.

ثم أورد المؤلف رحمه الله حديث حذيفة ﷺ - طويل - قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني [3] فقوله: مخافة أن يدركني تعليل لسؤاله رضي الله تعالى عنه عن الشر. فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر [4] يشير بهذا إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر والقتل والنهب وإتيان الفواحش التي كانوا عليها، فهم كانوا في جاهلية وشر. فجاءنا الله بهذا الخير [5] وهو الإسلام الذي يأمر بضد الشر الذي في الجاهلية. فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. [6] يعني أنه يقع بعد الخير الذي بعث به النبي ﷺ شر، قال العلماء: وهذا الشر ابتدأ بمقتل عثمان ﷺ لأنه بمقتله فتح باب الفتن. قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن [7] يعني أن الخير الذي يقع بعد الشر لا يكون خيرا محضا كالخير الأول، وإنما يقع فيه دخن؛ والدخن فسر بأنه فساد القلب، وفسر بأنه كل أمر مكروه، وفسر بالدخان؛ والمقصود من هذا كله أن هذا الخير الذي يأتي لا يكون خالصا، وإنما يشوبه كدر ليس هو كالخير الأول، ولهذا قلوب هؤلاء لا يصفو بعضها لبعض ولا ترجع القلوب على ما كانت عليه من قبل ولكن يحصل فيها دخن. قال: قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر [8] ؛ قوله: ويهدون بغير هديي [9] هكذا بالإضافة وضبطت أيضا بالتنوين بغير هدي وضبطت أيضا بغير هدى بضم الهاء والمعنى واحد. قال: تعرف منهم وتنكر [10] أي تعرف من

---

١ - سورة الروم آية : ٣٠.

٢ - سورة الروم آية : ٣٠.

٣ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٧٩) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٤ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٥ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٦ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٤٠٦/٥).

٧ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٨ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٩ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

١٠ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

أعمالهم وأقوالهم ما يوافق السنة وتجد من أقوالهم وأعمالهم ما تنكره لمخالفته للسنة. قلت: فهل بعد ذلك الخير [١] يعني بعد ذلك الخير الذي فيه دخن. قال: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم فتنة عمياء [٢] [٢] فقوله: فتنة عمياء، هي ليست في صحيح مسلم وإنما خرجها أبو داود رحمه الله؛ وقوله: فتنة عمياء، هذه الفتنة العمياء إنما سميت عمياء لأن من وقع فيها لا يجد منها مخرجا أو أنها تأخذ الناس على غرة من غير بصيرة منهم فيعمون فيها ويلتبس عليهم الحق بالباطل وتصم آذانهم عن سماع الحق. قال: ودعاة على أبواب جهنم [٣] قوله: ودعاة على أبواب جهنم؛ هؤلاء الدعاة هم الذين يدعون إلى المنكر، ولكن قال: على أبواب جهنم على اعتبار ما يئول الحال إليه لأن المقصود هنا أن دعوتهم إلى المنكر أو إلى هذه الأفعال المحرمة تورث صاحبها الوقوع في النار فعبر بما يئول إليه الحال. قال: من أجابهم إليها قذفوه فيها [٤] لأنهم هم الذين دعوا إليها وتسببوا؛ قال: قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. [٥] يعني بذلك أن هؤلاء في الظاهر أنهم مثلنا ومعنا ولكن في الباطن هم مخالفون لنا؛ لأن الجلد هو ما يظهر يعني هو غشاء البدن الظاهر فهؤلاء قال: قوم من جلدتنا، يعني أن صفاتهم الظاهرة كصفاتنا ويتكلمون بألسنتنا؛ قال العلماء: معنى ذلك أنهم إما أن يكونوا من هذه الأمة ثم ارتدوا أو أنهم من هذه الأمة ولكن وقع فيهم محدثات وضلالات؛ لأن الداعي الذي يكون على أبواب جهنم تارة يدعو إلى الكفر وتارة يدعو إلى ما دون الكفر. قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ [٦] وهذا سؤال عن طريق النجاة؛ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم [٧] يعني أنه إذا وقعت هذه الفتن فالنجاة منها أن يلزم الإنسان جماعة المسلمين وإمامهم، وهذا بين وظاهر في أهمية الجماعة كما أنه ظاهر في أهمية نصب الإمام والسمع والطاعة له وإن كان عاصيا جائرا ظالما. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها [٨]

١ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٣٨٦).
٢ – البخاري : أحاديث الأنبياء (٣٤٥٢) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٤٠٦).
٣ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٤٠٦).
٤ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٣٨٦).
٥ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٣٨٦).
٦ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٣٨٦).
٧ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٣٨٦).
٨ – البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٥/٣٨٦).

فالمخرج هو لزوم جماعة المسلمين فإن لم يجد فيعتزل الفرق كلها؛ لأنه حينئذ لا يكون هناك جماعة للمسلمين. قال: ولو أن تعض على أصل شجرة [1] يعني أنه يعتزل هذه الفرق ولو حصل له من الشدة والمشقة والعنت ما حصل له؛ ولذا قال: ولو أن تعض على أصل شجرة [2] ؛ يعني ولو كان الاعتزال بالعض على أصل شجرة، ولو كان الاعتزال يلحقك فيه مشقة وعنت فاعتزل هذه الفرق كلها؛ لأن ذلك سبيل للنجاة من هذه الفتن حتى يدركك الموت وأنت على ذلك؛ يعني وأنت ملازم لجماعة المسلمين وإمامهم أو وأنت معتزل تلك الفرق؛ لأن ما تقدم هو حالان ذكرهما النبي ﷺ . قال وزاد مسلم: والزيادة هنا ليست لمسلم وإنما هي في أبي داود، وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال [3] إلى آخر ما ذكر؛ وهذا إشارة إلى أن هذه الفتن تبقى وتستمر حتى تأتي الفتن الكبرى وأشراط الساعة الكبرى ومنها خروج الدجال الذي يبعثه الله ﷻ لفتنة عظيمة، وقد ذكرها في هذا الحديث، وهي ثابتة من أوجه كثيرة في صحيح مسلم وغيره أنه يكون معه نار وماء فالماء هو نار تأجج وناره نهر بارد؛ قد أمر النبي ﷺ في الحديث الصحيح إذا أدرك الإنسان الدجال فإنه يطأطئ رأسه ويأتي النهر الذي هو نار لأنه ماء بارد كما ذكر النبي ﷺ ذلك.

وهذا الحديث أورده المؤلف رحمه الله هاهنا ليبين وجوب الاستمساك بدين الله ﷻ ورد الباطل- كل ما خالف هدي النبي ﷺ بقطع النظر عن قائله- كما أن فيه التحذير من البدع والمحدثات لأنها تنافي ما أمر الله ﷻ به من إقامة الوجه للدين: إما تنافي أصل الإقامة، وإما تنافي الكمال الذي أوجب الله ﷻ على عباده.

ثم ذكر المؤلف أثر أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي وهو من التابعين توفي قبل المائة توفي سنة تسعين أو ثلاث وتسعين. قال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تنحرفوا عن الصراط يمينا ولا شمالا وعليكم بسنة نبيكم ﷺ وإياكم وهذه الأهواء. فهذه ثلاثة أمور جمعها أبو العالية رحمه الله في هذا الأثر:

---

١ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٢ - البخاري : المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم : الإمارة (١٨٤٧) ، وأبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، وأحمد (٣٨٦/٥).

٣ - أبو داود : الفتن والملاحم (٤٢٤٤).

أحدها: النصيحة بتعلم الإسلام.

والثانية: النصيحة بلزوم الإسلام والتحذير من البدع.

والثالثة: بيان معنى الإسلام.

أما النصيحة بتعلم الإسلام ففي قوله: تعلموا الإسلام، وأما النصيحة بلزوم الإسلام ففي قوله: وعليكم بالصراط المستقيم، وفي قوله: وعليكم بسنة نبيكم؛ والتحذير مما يخالفه أو من البدع في قوله: فلا ترغبوا عنه، وفي قوله: ولا تنحرفوا عن الصراط، وفي قوله: وإياكم وهذه الأهواء.

وأثر أبي العالية رحمه الله خرجه عبد الرزاق في مصنفه والآجوري والمروزي ابن محمد بن نصر المروزي في السنة وابن وضاح في البدع واللالكائي في "أصول اعتقاد أهل السنة" وأبو نعيم في "الحلية" وغيرهم. وهذا الأثر إما ذكره عاصم حدث به الحسن البصري فقال الحسن: صدق أبو العالية ونصح؛ فهذه موافقة من الحسن البصري لأبي العالية على هذا؛ ولما حدث به عاصم حفصة بنت سيرين رحمها الله قالت له: أحدثت محمدا بهذا؟ تعني أخاها محمد بن سيرين فقال: لا، فقالت: حدثه إياه. وهذا دليل على أن هذا الأثر وقع موقع القبول عند العلماء وهو أثر جامع دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ولهذا الإمام محمد بن عبد الوهاب قال: تأمل كلام أبي العالية رحمه الله هذا ما أجله وإنما كان كلاما جليلا لأنه مأخوذ من الكتاب والسنة الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام، قال: وتفسير الإسلام بالسنة، هنا يحتمل أن يكون سبق قلم؛ لأن في كلام أبي العالية قال: وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام؛ ففسر أبو العالية الصراط المستقيم بالإسلام، فيحتمل أنه هنا وتفسير الصراط بالإسلام أو وتفسير الإسلام بالصراط؛ لأن أثر أبي العالية فيه بيان الإسلام وما يخالف الإسلام، وذلك أنه ﷺ ذكر قال: وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام؛ وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [1].

ثم ذكر المؤلف كلامه على أثر أبي العالية وهذا الكلام كلام المؤلف رحمه الله يعني أولا: فيه أن أبا العالية رحمه الله حذر من هذه الأهواء في القرون المفضلة، بل في القرن الأول أو في المائة الأولى، فمن جاء بعدهم

١ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.

من أهل القرون فهم أحق بالتحذير لأن تلك القرون هي خير القرون؛ والثانية: أنه حذر من هذه الأهواء وأمر بلزوم السنة مع قوة إيمان أولئك وانتشار العلم فيهم فمن جاء بعدهم فهو أحرى أن يحذر؛ وكذلك: فيه الخوف من الوقوع في المحدثات فإذا خافه أبو العالية رحمه الله على السلف الصالح والتابعين المتقدمين وفيهم من الخير والعلم والإيمان ما هو أكثر وأوفر من غيرهم، فإن من لم يكن بهذه المثابة فهو أحق أن يحذر من البدع والفتن.

ثم بين المؤلف أن كلام أبي العالية يبين أو يتبين به معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [1] ؛ لأن هذا وصية من الله ﷻ لخليله عليه السلام بالاستسلام لله ﷻ وهو معنى لزوم الصراط المستقيم، وأيضا الوصية الثانية وهي: ووصى بها يعني بالإسلام أو بالكلمة السابقة إبراهيم بنيه ويعقوب، ففيه الوصية بلزوم الصراط المستقيم، كما أن فيه الوصية بترك الانحراف عن الصراط يمينا أو شمالا أو الرغوب عن الإسلام، الوارد في كلام أبي العالية.

وقوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ ﴾ [2] هذا فيه تحذير من الرغوب عن الإسلام كما ورد في كلام أبي العالية؛ وقد مر بيان هذه الآية. ثم بين المؤلف رحمه الله أن بكلام أبي العالية تبين هذه الآيات وتبين أيضا أصول كبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة؛ وبمعرفتها يعني هذه الأصول أو بمعرفة كلام أبي العالية يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وقد تقدم بيان معنى الأحاديث وتقدم ما تضمنه كلام أبي العالية رحمه الله وهو مطابق لما دلت عليه هذه الأحاديث.

ثم قال: وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها يعني يقرأ هذه الآيات والأحاديث وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله ويظنها في قوم كانوا فبادوا، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، هذا تحذير من عدم التدبر في هذه النصوص واعتقاد أنها لقوم آخرين ولسنا مخاطبين بها بل نحن مخاطبون بها كما خوطب بها من قبلنا، فمن ظن أنها في أقوام آخرين ولم يلتفت إلى هذه النصوص ولم يعرها اهتمامه فإنه يكون والحالة هذه من الآمنين من مكر الله ﷻ كأنه آمن من مكر الله ﷻ ألا يضل عن هذا الدين بعد

١ – سورة البقرة آية : ١٣١.

٢ – سورة البقرة آية : ١٣٠.

إذ هداه الله ﷻ إليه؛ وهذا يقع في كثير من الناس يفرطون في باب توحيد الله ﷻ والاستقامة على شرعه ولا يتفطنون إلى النصوص التي تحذر من الوقوع في البدع والمحدثات، لا يتفطنون إلى هذه النصوص لظنهم أنها كانت، لظنهم أنهم ليسوا مخاطبين بها وإنما خوطب بها غيرهم. والواقع أنهم كلهم مخاطبون بها المتقدم والمتأخر، فمن لم يلحظ هذا فإنه قد يكون آمنا من ألا تزل به قدم بعد ثبوتها فيكون آمنا من مكر الله ﷻ فإذا أمن مكر الله ﷻ كان من الخاسرين.

ثم ذكر أثر ابن مسعود ﷺ وهذا الأثر خرجه أحمد والنسائي يعني في الكبرى والطيالسي والدارمي وصححه ابن حبان والحاكم؛ هذا الحديث حديث ابن مسعود ﷺ هو بيان لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [1] هذا الحديث فيه التحذير من البدع والمحدثات التي هي سبل الشيطان، كما أن في هذا الحديث تحريض على لزوم الصراط المستقيم، كما أن فيه بيانا لهذا الصراط وأن صراط الله ﷻ واحد لا ثاني له، وقد مر بيان هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [2] وهذا الحديث مبين لها ومفسر وهو دال على أنه يجب تحقيق ما جاء به النبي ﷺ وترك معارضة ما جاء به سواء كان برأي أو غيره نعم.

١ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.

٢ – سورة الأنعام آية : ١٥٣.

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء

وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [1] وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء [2] رواه مسلم وأحمد من حديث ابن مسعود وفيه: ومن الغرباء؟ قال: نزاع من القبائل [3] وفي رواية: الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس [4]

وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي [5]

وعن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة ﷺ فقلت له يا أبا ثعلبة: كيف تقول في هذه الآية؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [6] فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعاً وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم، قلنا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم. رواه أبو داود والترمذي.

وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر ﷺ ولفظه: إن من بعدكم أياما الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم، له أجر خمسين منكم، قيل يا رسول الله: منهم، قال: بل منكم ؛ ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال سفيان بن عيينة: عن أسلم البصري، عن سعيد أخ الحسن يرفعه قلت لسفيان عن النبي ﷺ قال: نعم، قال: إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

---

١ – سورة هود آية : ١١٦.

٢ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).

٣ – ابن ماجه : الفتن (٣٩٨٨) ، وأحمد (٣٩٨/١) ، والدارمي : الرقاق (٢٧٥٥).

٤ – الترمذي : الإيمان (٢٦٣٠).

٥ – الترمذي : الإيمان (٢٦٣٠).

٦ – سورة المائدة آية : ١٠٥.

وتجاهدون في الله، ولم تظهر فيه السكرتان: سكرة الجاهلية، وسكرة حب العيش، وستحولون عن ذلك، فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين، قيل: منهم؟ قال: لا بل منكم. ؛ وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ طوبى للغرباء، الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ .

هذا باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء، قلنا هذا الباب عقده المؤلف رحمه يبين أن فضل الإسلام وأجره قد يكون في زمان أكثر وأكمل منه في زمان آخر، والمراد بغربة الإسلام المراد بالغربة هو إذا كان أهل الإسلام المستمسكون به قلة فإن الغربة حينئذ تكون؛ والغربة كما ذكر العلماء في غربة الإسلام إما أن تكون الغربة التي تقع في آخر الدنيا حين لا يبقى على وجه الأرض مسلم، وذلك بعد فتنة الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وقرب قيام الساعة ثم يبعث الله ﷻ ريحا تقبض نفس كل مؤمن ومؤمنة، فهذه الغربة التي تقع في آخر الزمان؛ أما كون الإسلام يكون غريبا في الأرض كلها قبل قيام الساعة فهذا لا يكون كما ذكره العلماء لأن الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [1] قال: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين. [2] أما الغربة التي تكون مقيدة بزمان أو مكان أو شريعة فهذه حاصلة قد تكون شريعة من الشرائع غريبة إذا فعلها أحد استغربها الناس لقلة من يقوم بها، أو قد يكون مثلا المستمسكون في الإسلام في بعض الأمكنة قلة والشر هو الظاهر، فهذا موجود ويوجد، أما أن تكون مطبقة على الأرض كلها فهذه لا تكون إلا في آخر الزمان كما ذكره العلماء رحمهم الله.

وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [3] هذه الآية ذكر أهل العلم أن قوله: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾ [4] أي فهلا

١ – سورة التوبة آية : ٣٣.
٢ – مسلم : الإمارة (١٩٢٣) ، وأحمد (٣٨٤/٣).
٣ – سورة هود آية : ١١٦.
٤ – سورة هود آية : ١١٦.

كان من القرون، وهذا تحريض لكنه قد صاحبه معنى التأثر الذي ينبغي أن يكون على الأمم الخالية التي لم تهتد بهدى الله عز وجل؛ وذكر بعضهم أن قوله: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ [1] معناه النفي أي لم يكن من قبلكم من القرون من ينهى عن الفساد إلا بقية أو إلا قليل ممن أنجينا منهم؛ وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ ﴾ [2] يعني أولو بقية من الفهم والعقل والعلم ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ ﴾ [3] يعني لم يكن ينهى عن الفساد إلا قليل وهؤلاء القليل نجاهم الله ﷻ من العذاب، ولهذا قال: ﴿ مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ ﴾ [4] فدل ذلك على فضل الغربة لأن هؤلاء القلة الذين ينهون عن الفساد هم المستمسكون بالدين، وقد ذكر الله ﷻ أنهم قليل، وبين فضلهم جل وعلا بأنه نجاهم؛ وهذا محل الاستشهاد بهذه الآية.

ثم أورد حديث أبي هريرة: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء [5] فقوله: بدأ الإسلام غريبا [6] يعني أن أول ما بدأ الإسلام لم يؤمن مع النبي ﷺ إلا قليل بل نفر كانوا، ثم بعد ذلك فتح فتح الله ﷻ على رسوله ﷺ فدخل الناس في دين الله أفواجا؛ ثم أخبر ﷺ أنه سيعود غريبا كما بدأ يعني يبقى في قلة من الناس؛ ثم بين ﷺ أجر الغرباء قال: فطوبى للغرباء [7] ؛ والغرباء هنا هم الغرباء الأولون والغرباء المتأخرون، فكلا الطرفين يشملهم قوله: فطوبى للغرباء [8] وطوبى فسر بأنه الجنة وفسر بأنه شجرة في الجنة وفسر بأن هذا دعاء، دعاء لهم بأن يجعلهم الله ﷻ في أكمل حال وأحسنها وأن يسبغ عليهم

---

١ – سورة هود آية : ١١٦.
٢ – سورة هود آية : ١١٦.
٣ – سورة هود آية : ١١٦.
٤ – سورة هود آية : ١١٦.
٥ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).
٦ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).
٧ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).
٨ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).

فضله وأن يفرحوا بهذا الفضل؛ فقوله: فطوبى للغرباء [1] يعني في الأولين والمتأخرين، كل ما كانت غربة فطوبى للغرباء؛ فقوله: فطوبى للغرباء [2] هذا فيه فضل الغرباء وقوله: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا [3] هذا فيه إثبات غربة الإسلام. قال: رواه مسلم يعني من حديث أبي هريرة كما تقدم، وأحمد من حديث ابن مسعود رواه أحمد من حديث ابن مسعود، وكذلك وفي ابن ماجه؛ وجاء به المؤلف الزيادة اللي فيه. قال: ومن الغرباء؟ قال: (النزاع من القبائل) [4] والنزاع جمع نازع وهو الغريب عن بلده وقبيلته وعشيرته؛ وهذا تفسير للغرباء وهو واضح في الدلالة. وفي رواية: (الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس) [5] وفي رواية الترمذي الأخرى وهي رواية ضعيفة جدا قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي [6] لكن المعنى صحيح لأن الغرباء أو لأن صلاح الإنسان يكون لصلاحه في نفسه وسعيه لإصلاح غيره؛ لأن الله ﷻ أوجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن ينصح لعباد الله، فإذا ترك هذا الواجب الذي فرضه الله ﷻ عليه لم يستكمل الصلاح في نفسه، فلازم الصلاح في نفس الإنسان أن يسعى لإصلاح غيره. وهذا الكلام الذي ذكره في بيان معنى الغرباء وهو محصله أنهم هم المستمسكون بالسنة عند فساد الأزمنة.

قال: وعن أبي أمية وهو أبو أمية الشيباني قال: سألت أبا ثعلبة فقلت يا أبا ثعلبة: كيف تقول في هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [7] ؟ هو سأله عن هذه الآية لأن ظاهر هذه الآية أنه لا يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه قال: ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [8] فقد يتصور من ظاهرها أن الإنسان لا يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما يلزمه إصلاح نفسه؛ ولكن طبعا هذا غير مراد لأنه كما تقدم من

١ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).
٢ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).
٣ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).
٤ – ابن ماجه : الفتن (٣٩٨٨) ، وأحمد (٣٩٨/١) ، والدارمي : الرقاق (٢٧٥٥).
٥ – الترمذي : الإيمان (٢٦٣٠).
٦ – الترمذي : الإيمان (٢٦٣٠).
٧ – سورة المائدة آية : ١٠٥.
٨ – سورة المائدة آية : ١٠٥.

لازم إصلاح النفس أن يسعى الإنسان لإصلاح غيره، ولكن إذا وقع من غيره ذنب ومعصية وقد نصح له فإنه لا يتحمل شيئا من آثامه وأوزاره وضرر ذلك يقع عليه. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً [١] يعني سألت عنها عالما بها عارفا بمعناها وإنما كان كذلك لأنه قد سأل النبي ﷺ عنها. قال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: بل ائتمروا بالمعروف [٢] قال العلماء في قوله: "سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم" يعني فقلت له: أما نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بناء على ظاهر هذه الآية فقال: لا تتركوا بل ائتمروا وهذا المعنى المستفاد إنما هو المستفاد من الإضراب في قوله: بل ائتمروا [٣] مستفاد من الإضراب وإن لم يكن مذكورا في الكلام ولكنه مقدر. بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعاً [٤] فالشح هو هو البخل وهو أشد البخل أو هو البخل مع الحرص. وقوله: شحا مطاعا [٥] يعني أن نفس الإنسان تطيعه على هذا الشح وتوافقه عليه؛ وهوى متبعا [٦] وهذا ظاهر؛ ودنيا مؤثرة [٧] يعني على الآخرة؛ وإعجاب كل ذي ذي رأي برأيه [٨] سواء كان حقا أو باطلا؛ قال: فعليك بخاصة نفسك [٩] قال العلماء: هذه هي الحالة التي يرخص فيها بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا قاله بعض أهل العلم، يعني إذا حصل الفساد المستشري كما ذكر فإنه يرخص للإنسان بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يلحقه ضرر أعظم. قال: فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام [١٠] يعني أمر عامة الناس؛ فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر [١١] يعني أن الصابر في هذه الأيام التي تكون فيها الغربة كالقابض على الجمر إذ

١ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٢ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٣ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٤ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٥ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٦ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٧ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٨ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
٩ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
١٠ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).
١١ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).

يلحقه من المشقة ما يلحق القابض على الجمر؛ للعامل فيهن [١] يعني في هذه الأيام؛ مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم [٢] يعني في غير هذه الأيام، ففرق بين أيام العمل في أيام الغربة والعمل في غير أيام الغربة، فالعمل الذي في أيام الغربة يوازن عمل خمسين رجلا من عمل أصحاب النبي ﷺ ولكن لا يقتضي هذا تفضيل المتأخر على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن التفضيل هنا لم يأت على وجه العموم وإنما جاء التفضيل في عمل خاص، فلهم من الأجور في هذه الأيام مثل أجر خمسين رجلا، لكن إذا جمعت ما للصحابة رضي الله عنهم من الصحبة والهجرة والجهاد والسابقة إلى غيرها وجدت أن جميع ما قدموه يفضل على جميع من جاء بعدهم؛ لأن النبي ﷺ قال: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم [٣] ؛ وقال: لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه [٤] [٤] ؛ وهذا الحديث الذي لأبي ثعلبة خرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم، وأما الترمذي فقال حسن غريب.

هذه الغربة التي يعني هي فيها فضل هذا الحديث فيه فضل الغرباء؛ لأنه قال: للعامل فيهن [٥] وكذلك في إثبات الغربة غربة الإسلام أنه تقع له غربة قد دل عليه: إذا رأيت شحا مطاعا [٦] ودل عليه: فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن [٧] إلى آخره.

إذ بقي أن ننبه على أن أهل العلم نبهوا على أن غربة الإسلام لا تخول تركه، يعني إذا كان الإسلام غريبا فلا يجوز للإنسان أن يفسد وأن يترك إصلاح نفسه؛ لأن الإسلام في غربة، كما أن المسلم لا يغتم بقلة المستمسك بالإسلام وقت الغربة ولا يكون لذلك أثر عليه أو يكون أو يلحقه شك في دينه إذا رأى

---

١ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).

٢ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).

٣ – البخاري : الشهادات (٢٦٥٢) ، ومسلم : فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، والترمذي : المناقب (٣٨٥٩) ، وابن ماجه : الأحكام (٢٣٦٢) ، وأحمد (٤٣٤/١).

٤ – البخاري : المناقب (٣٦٧٣) ، ومسلم : فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، والترمذي : المناقب (٣٨٦١) ، وأبو داود : السنة (٤٦٥٨) ، وابن ماجه : المقدمة المقدمة (١٦١) ، وأحمد (٥٤/٣).

٥ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).

٦ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).

٧ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).

قلة المستمسكين به، وكذلك لا تدل غربة الإسلام على أن المستمسك بالإسلام وقت الغربة في شر وإنما هو في خير لأن النبي ﷺ قال: فطوبى للغرباء [1] فهو من أسعد الناس وأحظهم.

ثم ذكر أثر ابن الوضاح الأول وإسناده ضعيف جدا، وأثره الثاني أيضا فيه هو أثر أيضا ضعيف، وأيضا الحديث الثالث وهو حديث المعافري أبو بكر بن عمرو المعافري هذا حديث مرسل، وأيضا في سنده جهالة، لكن هذا الحديث هو يعني تابع للحديث الذي قبله، وما فيه من المعنى ما في الحديث الذي قبله؛ ويبقى الباب الأخير نعم. لم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش؛ يعني سكرة الجهل تعلمون أن القرون الأولى فيها من العلم فيها من العلم ما ليس جاء بعدهم، والغربة عادة تنشأ عن الجهل؛ وسكرة حب العيش فهو كما ذكر في الحديث السابق: ودنيا مؤثرة [2] يعني ستؤثر الدنيا على الآخرة، فإذا ظهرت هاتان السكرتان الجهل كما ثبت في الحديث الصحيح أن الله ﷻ يقبض العلم بقبض العلماء، هذا من أمارات الساعة، وإذا قربت الساعة فإن الشر يزداد والخير يقل نعم.

١ – مسلم : الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه : الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).

٢ – الترمذي : تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، وابن ماجه : الفتن (٤٠١٤).

باب التحذير من البدع

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوما موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عيها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة [1] قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وعن حذيفة قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تتعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم. رواه أبو داود.

وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك، أنبأنا عمر بن يحيى، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا، انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ فقالوا يا أبا عبد الرحمن: حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، فقال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة محمد ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم،

---

١ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه : المقدمة (٤٤) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج. والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو الباب الأخير في هذا الكتاب المبارك والرسالة العظيمة وهو باب التحذير من البدع، وهذا الباب عقده المؤلف لأن البدع من أعظم ما يذهب فضل الإسلام، وهي يسيرة في الدخول على الناس والتمكن من نفوسهم؛ لأنها تأتي بوجه الطاعة لله ولرسوله ﷺ . وذكر المؤلف فيه حديث العرباض بن سارية الشهير وهو حديث خرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارمي، وصححه ابن حبان والحاكم وكذلك صححه أبو نعيم والحافظ بن عبد البر وغيرهم صححوا هذا الحديث، والترمذي قال حسن صحيح. حديث العرباض بن سارية قال فيه: قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع [١] وذلك أن المودع لا يترك شيئا مما يهم المودع إلا أوصاه به عند وداعه إياه، وهكذا رسول الله ﷺ أوصى أصحابه بهذه الوصية العظيمة الجامعة قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة [٢] فهاتان وصيتان إحداهما الوصية بتقوى الله والثانية السمع والطاعة لمن تأمر على المسلمين. قال: وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ [٣] وهذه الوصية الثالثة الخاصة في المخرج من الفتن وتعدد الأهواء، ثم أكد ﷺ بقوله: وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة [٤] ؛ فقوله أولا: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها [٥] هذا أمر بلزوم السنة وفيها تتضمن التحذير من الوقوع في البدع لأنه إذا أمرنا بالسنة فمعناه أنه حذرنا مما يخالفه وهو البدعة، والثاني أنه قال: وإياكم ومحدثات الأمور [٦] وهذا تحذير من البدع؛ والثالث أنه وصف البدع كلها بأنها ضلالة؛ وقد جاء في بعض روايات الأحاديث وصححها بعض أهل العلم قال: وكل ضلالة في النار [٧]

١ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه : المقدمة (٤٤) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).
٢ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).
٣ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه : المقدمة (٤٤) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).
٤ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه : المقدمة (٤٢) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).
٥ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه : المقدمة (٤٢) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).
٦ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه : المقدمة (٤٢) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).
٧ – النسائي : صلاة العيدين (١٥٧٨).

فهذا التحذير من البدع وبيان أن البدع كلها ضلالة، وهذا يشمل التحذير من البدع صغيرها وكبيرها، وليس في البدع بدعة حسنة بل كلها سيئة؛ لأن قوله: فإن كل بدعة ضلالة [1] يعم جميع البدع.

ثم أورد المؤلف رحمه الله أثر حذيفة بن اليمان قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوها، يعني أن العبادات توقيفية، وأن العبادة إنما تتلقى عن سلف هذه الأمة ولا يجوز للناس أن يحدثوا شيئا؛ لأن الصحابة كانوا أبر الناس قلوبا وأعمقها علما وأبعدها تكلفا وأهداها سبيلا وأقومها اتباعا للنبي ﷺ فكونهم لا يتعبدون بها دليل على عدم شرعيتها، وأن من فهم التعبد بعبادة لم يتعبدوا بها فإن فهمه خاطئ. ثم قال: فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم؛ وهذا سبق عندنا في باب وجوب الدخول في الإسلام ما جاء في الصحيح عن حذيفة أنه قال: يا معشر القراء استقيموا فإن استقمتم فقد سبقتم سبقا بعيدا. وهذا الأثر هو معنى الأثر السابق.

ثم أورد ما خرجه الدارمي في مقدمة سننه في قصة أولئك الذين كانوا يجلسون على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهذا الأثر طويل فيه التحذير من البدع وإن استحسنها الإنسان ورأى فيها خيرا؛ وفيه أيضا أن البدع، فيه بيان خطورة البدع لأنها كما قلنا لأن سريانها إلى النفوس سريع؛ لأنها تأتي على وجه القربة لله عز وجل لا على وجه المعصية، وفيه أن البدع لا يستهان بها وإن كانت صغيرة؛ لأن البدع الصغيرة قد تئول إلى بدع كبرى، ولهذا قال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان، يعني لما قاتل علي رضي الله عنه الخوارج في موقعة النهروان كانوا أولئك الذين في الحلق كانوا يقاتلون علي بن أبي طالب قد خرجوا عليه فترقوا من هذه البدعة الصغيرة بمجرد التهليل والتحميد والتسبيح على وجه أو على هيئة لم ترد عن النبي ﷺ كانوا على هذه البدعة الصغيرة ثم ترقوا حتى وصلوا إلى إحدى البدع الكبرى وهي الخروج على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه؛ فالأمر الرابع أن البدعة لا تخلوا من أحد أمرين أو فاعل البدعة لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يزعم أنه أهدى مما جاء به النبي ﷺ أو أنه يفتح باب ضلالة لا يخلو من هذا؛ إن قال إنه أهدى من النبي ﷺ فهو ضال مضل فلم يبق له إلا أن يفتتح باب ضلالة، يعني باب بدع وضلالة على الناس؛ لأن كل بدعة ضلالة، فتعين أن كل بدعة ضلالة؛ لأن المبتدع لا يقول إني أجيء بما هو أفضل من

١ – الترمذي : العلم (٢٦٧٦) ، وأبو داود : السنة (٤٦٠٧) ، وابن ماجه : المقدمة (٤٢) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، والدارمي : المقدمة (٩٥).

ملة محمد ﷺ وإنما هو في زعمه يريد أن يأتي بما يقربه إلى الله ﷻ ويهديه إليه فلم يبق له إلا أن يكون بفعله هذا مفتتحا لباب ضلالة؛ وفيه تحذير من البدع لأنها ضلالة.

هذا ما تيسر في هذه الدروس الخمسة ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، كما نسأله جل وعلا أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وأن يغفر للشيخ الإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب وأن يرفع درجاته وأن يجعلنا وإياكم ممن اتبع نبيه ﷺ بهدى وإحسان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.